المجموعة الأدبية الكاملة

لميعة عباس عمارة

دراسة وشعر ونثر



دار الحكمة
لندن

المجموعة الأدبية الكاملة

* المجموعة الأدبية الكاملة لرباب الكاظمي (دراسة وشعر ونثر)

* رباب الكاظمي

* طبعة أولى أيلول ٢٠٠٠

* الناشر دار الحكمة – لندن

* ISBN 1 898209 96 0

88 Chalton Street, London, NW 1, 1 HJ
Tel: 0207 / 3834037 Fax: 0207 / 3830116

DAR AL-HIKMA
Publishing and Distribution

88Chalton Street , London NW1 IHJ Tel :0207-3834037 Fax : 0207 -383 0116

المجموعة الأدبية الكاملة

لرباب الكاظمي

دراسة وشعر ونثر

دار الحكمة
لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عنوان الكتاب: رباب الكاظمي — Title: Rabab Alkahdimi

دراسة وشعر ونثر — Poetry & Prose

الناشر: لبنى حكمت الجادرجي — Publisher: Lubna chadirchi

اعداد وتحقيق: د. عبد الرزاق طه حمودي — Preparation & Verification: DR. A. R. T. HAMMOUDI

الطبعة الأولى: عام ٢٠٠٠ — First Edition 2000

البريد الالكتروني: E.mail: hammoudi 70 @ hotmail.com

E.fax: outsid uk 44 - 870 - 125 - 4474/ uk: 0870 - 125 - 4474

دار الحكمة

لندن

دراسة وشعر ونثر

أدبـــي لـــدى الأيـــام جُـــرمـــي وجـريـرتـي فـي الـدهـر عـلـمـي

المقدمة

بــغــداد لـــي إذا أنــتــمــي مــجــدي ومــصــر الــقــاهــرة
(رباب الكاظمي)

ما أعذبه من كلام وأطيبه يتفجر شاعريةً وأدباً من قريحة الدكتورة رباب عبد المحسن الكاظمي، كريمة شاعر العرب.

إنه من دواعي سروري أن أُكلف من قبل ابنة الشاعرة الكبيرة الأخت لبنى الجادرجي، بدراسة وجمع وتحقيق أعمال الراحلة الدكتورة رباب عبد المحسن الكاظمي رحمها الله.

عرفتها امرأة فاضلة، خصتني بالعناية والرعاية لأكثر من عشرين عاماً، فكانت لي أماً ثانية.

في شعرها ونثرها حلاوةً وطلاوة وقوة وجزالة ديباجتها العربية هي من النماذج العالية للشعراء تتفجر أنوثة ورقة.

والدكتورة رباب الكاظمي رائدة مشهورة من رائدات النهضة العلمية والأدبية في بلادنا العربية، فلها صولات وجولات في ميادين الفكر والأدب نظمت الكثير من القصائد في كافة المناسبات القومية والأحداث التاريخية، حيث نشرت تلك القصائد في مختلف الصحف والمجلات المصرية والعراقية. وبعد دراسة شاملة لأعمالها ومراجعة العديد من المصادر من جرائد... وكتب ومجلات، وبالاستعانة بمكتبة الشاعرة نفسها بالإضافة إلى تسجيلاتها الصوتية تم إعداد هذا الكتاب ليكون سجلاً لتعريف هذه الأديبة التي كان لها أثراً واضحاً في النهضة الأدبية الحديثة.

وفي الختام نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

لندن في الأول من نيسان عام ٢٠٠٠

د. عبد الرزاق طه حمودي

نبذة مختصرة عن حياة الشاعرة

ولدت السيدة رباب الكاظمي كريمة شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي في الثاني والعشرين من شهر آب من عام ١٩٢٠ في العباسية البحرية وهي أحد امتدادات القاهرة في أرض مصر.

والسيدة رباب هي الابنة الوحيدة لشاعر العرب الكاظمي. أما أمها فهي السيدة عائشة بنت المجاهد التونسي محمود أحمد الحسني النسب، الذي فر من ظلم الفرنسيين ولجأ إلى أرض مصر، وتزوج فيها سنة ١٨٨٥ من سيدة مغربية وأنجب منها عائشة والدة رباب حيث ولدت سنة ١٨٩٩ وتزوجت من عبد المحسن الكاظمي في حزيران سنة ١٨١٦، ولم تعش عنده طويلاً إذ توفيت في ٧ آذار سنة ١٩٢٧ تاركة وراءها ابنتها رباب وهي في سنها العاشرة.

اهتم عبد المحسن الكاظمي بتربية وحيدته فكان أستاذها الأول، ولشدة حبه لها أخذ يترنم بها في أشعاره، حيث قال:

فداءُ رباب داء قلبي ومهجتي ... وإن شفاها لو علمت شفائي
رجوت بقاها في الإنام وإنما ... بقاء رباب في الإنام بقائي
عسانا نرى منها غداً خير واعظ ... لخير رجال أو لخير نساءِ

وقال:

وهل علمت يوماً رباب بأنني ... كبرتُ ولم يكبر علي لها أمر
وهل ذكرت ريحانة القلب أنني ... نسيت سواها منذ فاح لها النشر

إذا سألوني من رباب أجبتهم   هي الروح والعقل المدبر والشعر

وقد اتجهت إلى المطالعة والدرس، وشجعها والدها على نظم الشعر واندفعت بقوة ونظمت قصائدها وهي بعدُ في ريعان صباها، حتى خشي عليها أن تنصرف عن دراستها وتتجه إلى الشعر فقط وهذا ما لم يستسيغه لها، ونلمس ذلك في وصيته لها: «عديني يا رباب، وأنا على أبواب الأبدية، ألا تقربي الشعر إلا بعد حصولك على إجازة علمية لئلا يكون نصيبك الحرمان والعلل كأبيك». فأطاعت والدها ومرشدها الأول واتجهت للدراسة ودخلت المدرسة الثانوية، وشاركت أباها في محنته بتوالي الأمراض عليه، واشتداد الفاقة، حتى وافاه الأجل في اليوم الأول من شهر مارس ١٩٣٥ المصادف أوائل صفر من عام ١٣٥٤ هـ وقد اهتمت حكومة العراق في حينه بالأمر، وكانت حكومة ياسين الهاشمي هي التي تدير دفة الحكم آنذاك.

وأقيمت حفلات التأبين في عدة أمكنة في العراق اشترك فيها الأهلون والحكومة. وكان الحفل الذي أقامته الحكومة حفلاً تأبينياً مهماً في حديقة المعرض ببغداد اشترك فيها شيوخ الشعراء، ودعيت رباب لحضوره من القاهرة، وقد وصلت بغداد في ١١ حزيران عام ١٩٣٥، وشاركت في احتفالات التأبين ومُنحت الجنسية العراقية وقبل مغادرتها العراق توجهت إلى مكتب صاحب الفخامة ياسين الهاشمين رئيس الوزراء مودعة إياه بمناسبة عودتها إلى مصر، شاكرة حفاوة العراقيين بها طيلة مكوثها في بلدها العراق. وغادرت البلاد عائدة إلى القاهرة من صباح يوم الجمعة ٢١ حزيران ١٩٣٥. ثم قررت الحكومة العراقية إلحاقها بالبعثة وتأليف لجنة من الأدباء لجمع ديوان الكاظمي وطبعه، بالإضافة إلى بناء ضريح مناسب له.

ولكن القرارين الأخيرين لم ينفذا بسبب ترك الهاشمي الحكم على أثر انقلاب الفريق بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٦، حيث ألغيت القرارات وقطعت علاقة رباب من البعثة إثر تخرجها من الثانوية عام ١٩٣٧.

- وفي عام ١٩٣٦ عقد قرانها من السيد حكمت الجادرجي وتم

الزواج الفعلي عام ١٩٣٨، وكان آنذاك في السلك الدبلوماسي العراقي بمصر.

وفي عام ١٩٣٩ رزقت ببكرها عبد المحسن وقد أسمته باسم أبيها وفاءاً وتقديراً، وقد غادر العراق عام ١٩٥٦ إلى أمريكا للدراسة على نفقة أبيه في فرع الهندسة الكهربائية وقد تخرج عام ١٩٦٧، وتزوج من سيدة إنكليزية في بريطانيا وأنجب منها ولدين، إبراهيم وحكمت. وقد وافته المنية في ٧ مارس عام ١٩٩٨ على أثر مرض عضال لم يمهله طويلاً.

- وفي عام ١٩٤٥ رُزقت بابنتها «لبنى» وقد تخرجت عام ١٩٦٨ من كلية معالجة السرطان بالذرة من لندن، وحصلت على بكالوريوس في الكيمياء عام ١٩٧٨ وعلى ماجستير في الكيمياء العضوية، ثم على دبلوم عالي في الإدارة.

- لم ترض رباب أن تكون خريجة المدارس الثانوية فحسب لذلك التحقت بكلية طب الأسنان في القاهرة عام ١٩٤٦. ثم عند تعين زوجها قنصلاً عاماً في الإسكندرية انتقلت إلى جامعة الإسكندرية، وعندما نقل إلى باريس تحولت دراستها إلى جامعة السربون باريس حيث تخرجت طبيبة للأسنان عام ١٩٥٠. وفي عام ١٩٥٣ عندما كانت في أمريكا بصحبة زوجها الأستاذ حكمت الجادرجي عملت في مستشفى جامعة جورج تاون في واشنطن وحصلت على شهادة اختصاص في أمراض أسنان الأطفال من جامعة جورج تاون، ثم بشهادة اختصاص بمعالجة الأسنان بطريقة حديثة من جامعة هاورد الأمريكية.

وفي شهر آب من عام ١٩٥٤ عادت إلى وطنها العراق قادمة من أمريكا عندما عين زوجها حكمت الجادرجي مديراً عاماً للدائرة العربية بديوان وزارة الخارجية وعينت هي طبيبة في مستشفى الطلاب التابع لصحة المعارف، وأصبحت رئيسة قسم طبابة شعبة الأسنان في عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦. ولم يستمر المقام بزوجها في العراق إذ عين مستشاراً للسفارة العراقية بتونس، وغادر العراق في شهر تموز من عام ١٩٥٦، ثم رفع إلى درجة قائم بأعمال السفارة العراقية بتونس، وبعدها وزيراً مفوضاً بديوان

وزارة الخارجية ببغداد ووصلها في ١٠ يناير عام ١٩٦٢. وأحيل على التقاعد في ٨ أكتوبر عام ١٩٦٢ بقرار من عبد الكريم قاسم.

وبتاريخ ٨ أكتوبر عام ١٩٦٤ عينت رباب طبيبة في شعبة الأسنان بمستشفى الطفل العربي في جانب الكرخ من مدينة بغداد، وما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٩ نُقلت إلى مستشفى اليرموك في مدينة بغداد. وفي هذه السنة أُصيب زوجها بمرض خطير، اضطرها إلى التوجه إلى بريطانيا بغية علاجه هناك ولكن وافاه الأجل في يوليو عام ١٩٧٠ ودفن في مقبرة «بروك وود» في إحدى ضواحي لندن، وفي نفس العام رجعت إلى بغداد ولكنها أُصيبت بشلل مؤقت مما اضطرها للرجوع إلى لندن والإقامة فيها لتلقي العلاج ولتكون قرب ابنها المقيم هناك ولتجمع شتات أسرتها بعد رحيل الزوج.

وعندما تحسنت صحتها قامت بزيارة بلدها العراق عدة مرات، وفي كل زيارة كانت تلتقي بأهلها وبأدباء جيلها تسامرهم وتحادثهم وتوثق أواصر علاقتها بهم. وفي لندن ركزت عنايتها بابنتها لبنى وابنها عبد المحسن وشجعتهم وحثتهم على التحصيل العلمي والحصول على أعلى الشهادات، ولكنها لم تنسى الطلاب العرب وخاصة العراقيين، فهي كانت تساعد كل من تستطيع الاتصال به عن طريق الجامعات أو المؤسسات العربية والإسلامية الموجودة في لندن وظلت على هذا المنوال حتى وافاها الأجل في يوم ٩ ديسمبر عام ١٩٩٨ ودفنت من يوم الجمعة المصادف ١١ ديسمبر عام ١٩٩٨ في مقبرة «برووك وود» في ضواحي لندن بقرب زوجها وابنها رحمهما الله.

رباب الكاظمي

دراسة وشعر ونشر

الفصل الأول

شعر رباب الكاظمي

إذا سألوني من رباب أجبتهم   هي الروح والعقل المدبر والشعر

عبد المحسن الكاظمي



رباب الكاظمي عام ١٩٣٥ وهي ترتدي السواد حزناً على رحيل والدها ولها من العمر ١٥ عاماً.

شاعرية رباب

عاشت رباب ونشأت في كنف والدها الشيخ عبد المحسن الكاظمي الذي عُرف بالارتجال وطول النفس وجزالة الألفاظ، صاحب القصائد المحبرة والقوافي المحكمة. وقيل إن محمود سامي البارودي عندما كان يُصنف شعراء عصره إلى طبقات، استثنى الكاظمي وقال إنه «أمة في الشعر وحده».

في مدرسة هذا الشيخ نشأت رباب الكاظمي ورتعت في بحبوحة أدبه وفضله فكان معلمها الأول والباعث لها على نظم الشعر.

وفي مرحلة طفولتها حفظت طائفة كبيرة من الشعر العربي الجيد بإشراف والدها، حتى تربت عندها ملكة النظم وبلغت درجة طيبة، مما جعلها تُبكر في النظم وتجيد في بنائه، كما تربت معها الكرامة والاعتزاز بمجد العرب، حيث نجد هذا متمثلاً في قصيدتها التي تقول فيها:

إن نسبوا أخلاقنا   فهي الرياض الزاهرة
أو ذكروا أنسابنا   فهي الشموس السافرة
إذا مشينا وقفت   لعزنا القياصرة
وإن بدينا سجدت   لنورنا الأكاسرة

واستمر ذلك الوالد يغذيها الأدب والعزة، وحب العرب والعربية حتى أصبح هذا اللون من النظم هو الغالب على شعرها والمادة الأولى لنظمها.

ولما حط الكاظمي رحاله في أرض الكنانة توثقت صلاته بفرسان

البلاغة والدين والسياسة، فكان على رأس فرسان البلاغة: البارودي وعلي يوسف، وصبري وحافظ، ومطران، والرافعي، وشوقي.

وعلى رأس فرسان الدين الإمام محمد عبده.. وعلى رأس فرسان السياسة سعد زغلول.. وقد احتل الإمام محمد عبده وسعد زغلول الصدارة في شعر الكاظمي لكثرة فضلهما عليه وتقديرهما له، ومديد المساعدة له في أيام الشدة، والعون الأول على سد احتياجاته وقد توفي الأستاذ الإمام عام ١٩٠٥، والكاظمي بعد لم يتزوج، وبقيت صلته بسعد إلى ما بعد زواجه بـ «أم رباب» وقد شهدت رباب تلك الصلة، وذلك العطف الذي كان يبديه سعد نحو أبيها، ونالت هي كذلك من عطفه لدرجة كانت تدعوه بـ «أبيها»:

أبـي سـعـد ومـثـل أبـي قـلـيـل   وأمـي مـصـر فـهـي بـه ثـكـول

وهذا أمر جعل من سعد أن يحتل الصدارة من نفس الفتاة، فاتجهت هي لنظم الشعر على صفحات الصحافة المصرية والعربية، كالأهرام، وكوكب الشرق، والمساء، وغيرها من الجرائد اليومية، والأسبوعية والشهرية...

حتى أن شدة إيمانها بسعد ومبادىء سعد، ونقد ساسة مصر في ضوء مبادىء سعد، كاد يؤثر عليها، ويؤدي إلى فصلها وحرمانها من التعلم، كما صار ذلك في وزارة صدقي باشا «١٩٣٠ ـ ١٩٣٥» عام ١٩٣١ التي حكمت مصر بالحديد والنار، عندما هددها وزير معارفه حلمي عيسى باشا الذي أنذرها بالنفي بواسطة وزارة الداخلية هي ووالدها العليل... وفي هذه المرحلة من حياتها اضطرت أن تدخر ما تنظمه من الشعر في كل المناسبات السياسية، إطاعة لأمر والدها المسجى، وعملاً بنصيحته في الانكباب على دروسها لإكمال دراستها لتضمن بذلك عيشها...

كما بقيت مخلصة لأم المصريين ـ زوجة سعد ـ (صفية زغلول) بعد رحيل زوجها إلى العالم الثاني، وقالت فيها شعراً رقيقاً ينبعث منه الصدق في الوفاء والإخلاص والمحبة كقصيدتها: (تحية الشعر) المنشورة في جريدة المساء عدد ٥٥ في ١٠ نوفمبر ١٩٣٠:

هـاك روحـي ثـمـن الـبـشـر وهـات   خـيـر مـا تـصـبـوا إلـيـه الأمـهـات

وفيها تقول:

في جبين الدهر زغلولية ... أينما حلت تحل البركات

وفيها تعرج على ذكر الوفد وسعد وخليفته النحاس مخاطبة مصر في محنتها:

لك من وفدك آساد شرى ... لهم في كل غاب زأرات
لك عند الخطب منه لامة ... فاضه محكمة النسج اضاة
خلفاء بعد سعد سكنوا ... غاب سعد يرقبون الحركات
إن ينم سعد فعين المصطفى ... سهرت ترقب سير الحادثات

ونلاحظ عند إتمام القصيدة الروح القومية الوثابة طاغية، والصرخة من أجل الوطن عالية وقصيدتها في استقبال أم المصريين:

قرت بمقدمك العيون ... واستبشر القلب الحزين

وهنا أيضاً تعرج على ذكر سعد وجهاده مخاطبة خصوم الوطن الذين تسنموا الكراسي دون أن يقدموا أي منفعة تذكر للبلاد بل كان تسنمهم ضربة للحركة القومية في البلد:

لا تكثروا غمزاتكم ... فقناة مصر لا تلين
أحسبتموا إن مات سعـ ... ـد نلتموا ما تشتهون
أم خلتموا ذاك البنا ... ء يهي على مر السنين
ما مات من أحيا الشعو ... ب وذكره في الخالدين
إن تهدموا بالظلم السنـ ... ـة لمن تتكلمون
لم تهدموا ما شاد سعد في ... القلوب من الحصون
بنيان سعد ثابت ... ليست تزعزعه القرون

ثم تواصل ذكر فضائل سعد وجلائل أعماله في خدمة مصر والعروبة بروح مملوءة بالعاطفة، ثائرة على المتربعين على كراسي الحكم بكل جرأة وصلابة، ودون خوف مهما كانت النتيجة..

وبمناسبة العام الهجري الجديد ترفع لها قصيدة هي المنشورة في الأهرام عدد ١٦٠٠٣ في ١٣/٦/١٩٢٩.

عـــام خـــلا وعـــام أتـــرع مـــنـــه جـــام

وهي قصيدة طويلة تقع في (١٥٧) بيتاً نهجت فيها نفس المنهج في التعريض بخصوم الوطن وأعدائه وتمجيد سعد والولاء لأم المصريين صفية:

أهـــدي لأمـــي ولا ء كـــلـــه احـــتـــرام

وإن عـــنـــدي حـــبـــهـــا فـــريـــضـــة لـــزام

ولـــي كـــمـــا أنـــظـــمـــت لـــهـــا بـــنـــاتـــهـــا انـــضـــمـــام

ثم تقول:

فـــخـــار مـــصـــر فـــي الـــورى زغـــلـــول والإمـــام

وهذا الحب لسعد ومبادىء سعد انتقل لخليفة سعد ورئيس الوفد بعده مصطفى النحاس بعد رحيل سعد إلى عالم الخلود وقد برهنت في ذلك الولاء على وفائها للمبادىء التي خطها سعد وناضل من أجلها حتى ساعة فارق الحياة، فشعرها في مصطفى النحاس والوفد يوم كان يقود الحركة الوطنية والجماهير العربية للحياة الحرة الكريمة ولاء صريح لبطل النهضة السياسية الأول (سعد) وامتداد لولاء أبيها (عبد المحسن) إلى سعد الذي أحبه وأخلص له ونظم فيه غرر القصائد التي أصدرها في مجموعة خاصة باسم المعلقات[١].. فسارت رباب على نفس الخط الذي اختطه والدها ولم تحد عنه قيد أنملة وبقيت حتى هذه اللحظات بنفس تلك الروح حماساً في خدمة وطنها وثورة على خصومه وعملاء الأجنبي المتسترين، قالت في إحدى قصائدها. وقد نظمتها في ١٣ نوفمبر ١٩٢٨:

عـــلـــم الـــجـــهـــاد عـــلـــيـــك مـــمـــتـــد بـــنـــد يـــرف بـــجـــنـــبـــه بـــنـــد

وفيها تقول:

يـــا يـــوم ســـعـــد عـــدلـــنـــا واعـــد ســـعـــداً يـــحـــيـــى قـــومـــه ســـعـــد

هـــذي مـــنـــابـــره قـــد اجـــتـــمـــعـــت كـــي يـــرتـــقـــيـــهـــا الـــمـــصـــقـــع الـــفـــرد

(١) طبعت عام ١٩٢٤ بالقاهرة.

يا سعد لا تحزن فقد وثبت تحمي العرين رجالك الأسد
ابناك كل عند موقفه أسد على أعدائه ورد
هذا خليفتك الذي وثقوا أن يحمل الأعباء واعتدوا
قد سار بالأوطان منتهجاً سنن الطريق إذا التوى القصد
طلبوا النديد له فقلت لهم هيهات ليس لمصطفى ند

وقالت في قصيدة أخرى تحت عنوان: «تحية الوزارة والدستور» المنشورة في البلاغ عدد ٢٠٤٩ بتاريخ ٥ يناير ١٩٣٠:

يا حبذا طيب الورود بين الأزاهر والورود

وتقول بعد حملة على من ذبح الدستور وإهانة كرامة الأمة وحاد عن المطالبة باستقلال البلاد تتوجه إلى الوفد:

وفد الكنانة شيدوا فهو ركنكم المشيد
الوفد طود ثابت لم يوهه الجهد الجهيد
الوفد بحر زاخر وثمين كنز لا يبيد
عودوا إلى دستوركم دستوركم حصن وطيد
واسعوا إلى استقلال مصر من المزيد إلى المزيد
أنتم قصيدي في الثنا ء ومصطفى بيت القصيد
لك مصطفى عند القلو ب صفاؤها رغم الحسود

وقصيدة أخرى ثالثة بعنوان: «تحية الإياب» المنشورة في الأهرام بتاريخ ٢ مايس ١٩٣٠ مطلعها.

اليوم آب من السفر اليوم قد صدق الخبر

قالت:

اليوم يذكر الجميـ ـل وصنعه من يذكر
اليوم يذكر سعد مصـ ـر وهل كسعد إن ذكر
اليوم موكبه يسـ ـير وركبه فينا يمر
يا سعد قر فمصطفى عين البلاد به تقر
هذا خليفتك الذي أدى الفروض وما اقتصر

أدى فـرائـضـه ووفـا حـق مـوطـنـه وبـر

ونظمت بعنوان: ركب الرئيس تقصد «النحاس» نشرت في كوكب الشرق عدد ١٩٤٦ في ١٢ اكتوبر ١٩٣١. مطلعها:

ركـابـك والـجـمـوع الـهـاتـفـات أمـانـي مـصـر تـحـدوهـا الـحـداة

قالت:

لـقـد جـاء الـبـشـيـر فـواجـهـتـه وجـوه بـالـحـمـى مـسـتـبـشـرات
ومـا أحـلـى أحـاديـث الأمـانـي يـجـيء بـهـا إلى مـصـر الـثـقـات
إذا مـا جـاء مـصـر مـصـطـفـاهـا فـسـاعـات الـمـنـى مـتـرقـبـات
تـسـاءلـت الـبـلاد فـجـاوبـتـهـا ركـائـب مـصـطـفـى والـطـيـبـات

ونظمت تهنئة بعيد الأضحى المبارك نشرت في كوكب الشرق عدد ٢٠٢٧ في ٢٣ أبريل ١٩٣٢ مطلعها:

هـلـع الـعـاتـون لـمـا شـهـدوا أن سـيـر الـمـصـطـفـى يـطـرد

قالت:

عـيـد مـصـر مـصـطـفـاهـا كـلـمـا قـيـل ضـحـوا فـي مـنـى أو عـيـدوا
عـن غـد نـبـعـثـهـا تـهـنـئـة إنـمـا عـيـد أمـانـيـنـا غـد
عـيـدنـا الأوفـى غـدا مـوعـده يـومـه الأقـرب لا يـسـتـبـعـد
قـرب الـنـصـر لـمـصـر ودنـت سـاعـة الـفـوز وبـان الـهـدهـد

وحيت قدوم النحاس تحت عنوان: «تحية القدوم» نشرت في كوكب الشرق العدد ٢١٨٩ في ١٦ اكتوبر ١٩٣٢ مطلعها:

يومك المشهود لا يوم (منا) لبست مصر به ثوب الهنا، قالت:

يـا سـنـى الـبـدر أنـرهـا سـبـلاً واهـد مـن ظـل الـطـريـق الـسـنـنـا
حـرمـوهـا نـيـلـهـا الأعـلـى وقـد حـبـسـوا الـمـاء وقـالـوا خـزنـا
مـصـر لا تـعـرف غـيـر الـمـصـطـفـى يـوم لا مـؤتـمـن مـؤتـمـنـا
مـن يـبـاريـه أمـيـنـاً صـادقـاً مـن يـبـاريـه خـطـيـبـاً لـسـنـا
سـعـيـه الـمـشـكـور لا سـعـي الألـى سـعـيـهـم جـر عـلـيـنـا الـمـحـنـا

فهو الساهر في أوطاننا وهو السائر للمجد بنا

ثم تقول:

أنت يا ذخر البلاد المصطفى أنت من أخلفه سعد لنا
أظلمت أيامنا يا مصطفى أرنا أيام سعد أرنا
وأجرنا من زمان جائر واعد في مصر ذاك الزمنا

ومن أخرى نظمت بعنوان: «إلى الزعيم» نشرت في كوكب الشرق العدد ٢٣٦٤ في ١١ أبريل ١٩٣٣ مطلعها:

بك أضحى عيدها الأضحى قريراً وغدا روض أمانيها نظيرا

قالت:

يا زعيم الشرق قدها نهضة تملأ الكون شعاراً وشعورا
هل ترى وللشرق في محنته لزعيم الشرق في الشرق نضيرا
حمل الأعباء لم يعبأ بها ومن الأعباء ما كان ثبيرا
قائد الشرق أجره من يد أصبحت في الشرق شراً مستطيرا

وآخر ما نظمت في خليفة سعد تحت عنوان: «العام الهجري الجديد» نشرت في كوكب الشرق العدد ٢٣٨٥ في ٦ مايس ١٩٣٣ مطلعها:

طلعت يا حول فاطلعنا على الحال ماذا وراءك من حول وأحوال

قالت:

يا حول قف في ظلال المجد مورفة لا في ظلال وريق البان والضال
عند الزعيم أقم حيث الزعيم سمت به الزعامة في حل وترحال

إن تدن منه وخير القول أصدقه ألفيت أصدق قوال وفعال

فهذه الروح الوثابة الثائرة التي لا تعرف الخوف ولا السأم هي السبب في البلية التي أصابت الشاعرة وجعلتها عرضة للتهديد من خصوم عقيدتها.

«وفي شعر (رباب الكاظمي) كثير من الحلاوة والموسيقى، كما

يتجلى ذلك في أبياتها المشهورة التالية:

أدبي لدى الأيام جرمي وجريرتي في الدهر علمي
أظمى ولا أحظى بغير موارد في الناس تظمي
أصغي إلى زمني وطيب كلامه حرقات كلم
غودرت بين حقيقة حيرانة أمشي ووهم
وبقيت ما بقيت يد بقيت بها آثار وشم

ومما يدعو إلى الأسف أن رباب العراقية الأصل المصرية المولد أصبحت اليوم شاعرة مقلة، ولكن هذا القليل من شعرها يمتاز بالقوة وصدق الوطنية فاسمعوها تفاخر بأمجاد أجدادها:

بغداد لي إذا انتمى مجدي، ومصر القاهرة
إن نسبوا أخلاقنا فهي الرياض السافرة
أو ذكروا أنسابنا فهي الشموس الزاهرة
إذا مشينا وقفت لعزنا القياصرة»[1]

وأكد على أقلالها في النظم بعد ذلك الأستاذ سلمان طعمة فقال: «وللأسف قد ظنت وبخلت الشاعرة بأبحاثها على الأدب العربي بما يجيش في صدرها من الحوابس لذا تراها مقلة حيث يتراءى لي بأن اتجاهاتها الأخرى أشغلتها عن الانصراف إلى قول الشعر ولكن هذا القليل من شعرها يمتاز بجزالة اللفظ وقوة المعنى»[2].

وهي تنظم كلما سنحت لها سانحة، وهزتها خاطرة، وقد نظمت في أغلب فنون الشعر العربي، نظمت في الرثاء.. والتهنئة.. والسياسة والاجتماع.. وقد أبدعت فيما نظمت، كل ذلك بإطار عربي قومي ونفس متأهبة ثائرة، وقلب عامر بالإيمان، فهي لم ترث أو تهنىء لأمور شخصية

---

(١) الهلال/ مايو ١٩٥١/ ١٤ رجب ١٣٦٩/ عنوان البحث: «شاعرات العراق المعاصرات» بقلم الدكتور صفاء خلوصي. جاء في ص ٨١.

(٢) ص ٢٦ شاعرات العراق المعاصرات/ سلمان هادي الطعمة مطبعة الغري الحديثة النجف ١٩٥٥.

أو قضايا خاصة، أو مطمح في نفسها، وإنما لقضايا قومية، وأغراض عامة إنسانية، وكل ذلك يجده القارىء الكريم مبثوثاً في النماذج والأمثلة.

وهي في نظمها: سهلة العبارة، تغلب السلاسة على أكثر ما نظمت لذلك لا تجد للألفاظ القاموسية أثراً في شعرها. بعيدة كل البعد عن التعقيد في الفكرة، فهي لا تكلف القارىء عناء التفكير في معانيها ومحتويات شعرها.

فمن بواكير نظمها قصيدتها:

أنــــا ربــــاب الــشــــاطــرة ... إلـــى الإمـــام ســـائـــرة
بـالـعـلـم أدرك الـمـنـى ... والـجـد والـمـثـابـرة
أجـد لا أخـشـى الـعـثـا ... ر يـوم غـيـري الـعـاثـرة
بـلـغـت غـايـات الـمـنـى ... ومـا بـلـغـت الـعـاشـرة

وتختتمها:

أنـــا لـــمـن عـلـمـنـي ... حـــامـــدة وشـــاكـــرة

ومن بواكير نظمها أيضاً رثاؤها لسعد زغلول:

أبـي سـعـد ومـثـل أبـي قـلـيـل ... وأمـي مـصـر فـهـي بـه ثـكـول
أبـي سـعـد وأمـي أم سـعـد ... بـنـاء نـسـتـخـف بـه الـحـمـول

ومن هذا يحق لنا أن نجعلها في صفاف العربيات النابغات اللواتي وهبن هذه الملكة النادرة التي سيتحدث عنها تأريخ أدبنا العربي المعاصر بلا جدال وهذا ما دعا الكثير من الأدباء في نظم إعجابهم شعراً بها، وتشجيعاً لها، واعتزازاف بالنبوغ العربي.

فكتب إليها الشاعر محمد الهراوي هذه القطعة بخط جميل (وكان خطاطاً) بهذه النعوت: إلى الشاعرة الكريمة رباب الكاظمية بنت شيخ شعراء العربية السيد عبد المحسن الكاظمي:

ربـــاب يـــا طـــيـــر أيـــك ... أثـــنـــى الـــبـــيـــان عـــلـــيـــك
أبـــوك شـــيـــخ الـــقـــوافـــي ... قـــد حـــال فـــي أصـــغـــريـــك

فالسحر طوع يراع يجول في أصبعيك
يا كاظمية هذا طفلي الجديد لديك
وافى يقدم عني أزكى التحايا إليك
وراح يلثم كفي أبيك بين يديك[1]

المخلص محمد الهراوي

٢٣ صفر ١٣٥٠/ يوليو ١٩٣١

وهذا عباس محمود العقاد أرسل إليها هذه القطعة أيضاً بعنوان لأفض فوك:

إخلاصك الكنز الدفين وبيانك الحق المبين
وليت ناصية اللغى ووعيت فلسفة القرون
أحييت خنساء القريض وجئت بالخير اليقين
وكأنه الدر الثمين نظمته النظم المتين
عزف الرباب لسامعيه وزينة للناظرين
لله دجلة والفرات وساكني البلد الأمين
حرصوا على الود القديم وذمة النيل الحزين
لأفض فوك كريمة من خير نسل المحسنين[2]

عباس محمود العقاد

إلى هنا نكتفي بهاتين القطعتين كدليل على ما تحتل هذه النابغة من نفوس كبار شعرائنا. وآخر ما نظمت إعجابها بالرئيس جمال عبد الناصر في رمضان ١٣٨١ هـ قطعة هذا مطلعها:

هل الهلال فكان عند رضاكا وبدا سناه فكان دون سناكا[3]

(١) أرسل الهراوي هذه الأبيات مع كتابه «الطفل الجديد» وهو مجموعة شعرية تناسب الأطفال في عمر مبكر وقد ردت عليه بثمان أبيات من الشعر تشكره فيها.

(٢) نشرت هذه الأبيات في أهرام سنة ١٩٣١.

(٣) انظر القطعة في النماذج.

الفخر في شعر رباب

العربي بطبيعته فخور، والفخر جزء لا يتجزأ من الشعر العربي، وخصوصاً في عصوره الأولى، وروت لنا مجاميعنا الشعرية صحائف ذهبية من قصائد شعرائنا الأقدمين، غاية في الروعة والكمال، وهي - في الواقع - من معايير الشعر العربي العام بمختلف عصوره، واستمر هذا الغرض يلازم الشعر العربي حتى بداية عصر النهضة الأدبية الذي يبتدىء - تقريباً - بدخول نابليون أرض مصر غازياً في عام ١٧٩٨ م وليس معنى هذا أنه معدوم الوجود بعد عصر النهضة، ولكنه قليل إلا عند من تربى في المدرسة القديمة. .

والفخر غرض سام في شعرنا العربي، يتناول الاعتزاز بكرم الأصل وطيب المنبت، مع مجموعة من المثل العليا: كإيواء الضيف، والشجاعة والنجدة، وكرامة الذات، والتحدث عن المجد، والأخلاق الفاضلة، والأدب، و. . و. . الخ.

فقال السمؤال مثلاً (٦٢ ق.هـ):

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل
تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها أن الكرام قليل
وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

وقال عنترة (٧ ق.هـ):

ومن لم يرو رمحه من دم العدا ... إذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب

ويعطي القنا الخطي في الحرب حقه   ويبرى بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة   وإن مات لا يجري دموع النوادب

وقال حسان بن ثابت الأنصاري (٥٤ هـ):

وإن أك ذا مال كثير أجد به   وأن يهتصر عودي على الجهد يحمد
فلا المال ينسيني حيائي وعفتي   ولا واقعات الدهر يفللن مبردي

وقال الفرزدق (١٩ ـ ١١٤ هـ)

لنا العزة القعساء والعدد الذي   عليه إذا عد الحصى يتخلف

وقال الشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ):

ولست براض أن تمس عزائمي   فضالات ما يعطي الزمان ويسلب
غرائب آداب حياتي بحفظها   زماني وصرف الدهر نعم المؤدب
تعلم فإن الجود في الناس فطنة   تقوم بها الأحرار والطبع أغلب

وقال صفي الدين الحلي (٦٧٧ ـ ٧٥٠ هـ):

سل الرماح العوالي عن معالينا   واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا   عما نروم ولا خابت مساعينا
قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة   يوماً وإن حكموا كانوا موازينا

وقال محمود سامي البارودي (١٢٥٥ ـ ١٣٢٢ هـ):

ولي شيمة تأبى الدنايا وعزمة   ترد لُهام الجيش وهو يمور
وفيق بما ظن الكرام فراسة   بأمري ومثلي بالوفاء جدير
وأصبحت محسود الخلال كأنني   على كل نفس في الزمان أمير

وقال محمود الحبوبي (١٣٢٣ ـ ١٣٨٩ هـ):

مجد العروبة ما شدته محبرة   ولا يراع ولكن مرهف ودم
فتلك أسطره الحمراء ترسمها   في مصحف الزمن الهندية الخذم

وقال الشيخ عبد المحسن الكاظمي مفتخراً بأمجاد أمة العرب (١٢٨٩ ـ ١٣٥٤ هـ):

سائل بهم ضنك الهيا ... جي حيث سمر الخط غاب
تنبئك أنهم الأسو ... د نزوا وأفعى الرمل غابوا
من ذا يدانيهم وفي ... حجر العلا شبوا وشابوا
انظر لهم في المكرما ... ت تجدهم كرموا وطابوا
صعد الفخار بفضلهم ... وبفضلهم نزل الكتاب

وتلك هي رباب الكاظمي ربيبة شاعر العرب الأكبر، والتي كانت تسرح وتمرح في ذلك البيت الضيق في مصر الجديدة.. الذي يمثل الصحراء العربية الواسعة: برمالها، وغزلانها، وخيامها، ذلك البيت الضيق، الواسع الذي يمثل الفطرة العربية الرائعة، والأخلاق العربية الكاملة، ذلك البيت الضيق الواسع، الذي يمثل البداوة النقية بأجلى مظاهرها، يمثل الاعتزاز بكل المثل العليا، يمثل بالنسب وكرم المحتد فتقول:

بغداد لي إذا انتمى ... مجدي ومصر القاهرة
إن نسبوا أخلاقنا ... فهي الرياض الزاهرة
أو ذكروا أنسابنا ... فهي الشموس السافرة

والاعتزاز بالذات:

إذا مشينا وقفت ... لعزنا القياصرة
وإن بدينا سجدت ... لنورنا الأكاسرة

وتقول مفتخرة بعروبتها:

أنا من أناس كلهم ... بدر ولكن عند تم
كرموا ولما يلبسوا ... لعداتهم جلباب لؤم
فإذا لجأت إليهم ... تلجأ إلى هضبات شم

وتقول:

الأعصر الأداني ... تشهد والخوالي
أواخر العرب لنا ... والعرب الأوالي
لنا العلى آمنة ... من عبث الزوال

لنا الوجوه المشرقات ... في دجى القسطال
لنا الجياد القب من ... جار ومن جوال
لنا السيوف البيض لا ... نخاف من كلال
لنا القنا مطرابة ... والخيل في تصهال

وهنا تشير إلى مثلها مفتخرة:

إنا أناس خلقوا ... للذود والنضال
نذب عن أوطاننا ... بالقول والفعال
وليس منا دونها ... بالنفس من بخال
من يشتري المجد له ... أرخص كل غال

ثم تشير هنا إلى استرخاص الروح في سبيل الكرامة وتكشف عن نفسها الكبيرة الثائرة:

نحن بنو الموت فلا ... خوف ولا إحجام
لا سلمت أرواحنا ... أو يسلم الإنام

وتتحمس هنا مفتخرة بأنها من سلالة قوم أبطال شجعان لا يعرفون الكلل والملل من الحرب والطعان وإلا فلسنا من أولئك إن لم نكن كذلك قالت:

إن لم نصل دوى الحمى ... بعزمنا الصوال
ولم تكن نفوسنا ... دوينة النصال
ولم نسل دماؤنا ... سيلاً على الرمال
ولم تعد فتياتنا ... ند الفتى المفضال

وتستمر على هذا النهج في تعداد صفات الأجداد الطيبة في مثلهم العليا وثم تقول إن لم نلتزم بكل ذلك:

لسنا إذن بناتكم ... يا خيرة الرجال

وتقول من قصيدة وجهتها إلى أم المصريين «صفية زغلول» زوجة سعد:

أنـــا الـــربـــاب فـــي الـــورى لـــقـــولـــي انـــســـجـــام
جـــواد فـــكـــري مـــطـــلـــق لـــيـــس لـــه لـــجـــام
قـــريـــحـــتـــي ســـيـــالـــة وفـــكـــرتـــي ســـجـــام
أهـــدي إلـــى أمـــي ولا ء كـــلـــه احـــتـــرام
وإن عـــنـــدي حـــبـــهـــا فـــريـــضـــة لـــزام
ولـــي كـــمـــا أنـــظـــمـــت لـــهـــا بـــنـــائـــهـــا انـــضـــمـــام
فـــريـــدة لـــهـــا بـــأجـــيـــاد الـــعـــلـــى انـــتـــظـــام
فـــمـــا حـــكـــاهـــا نـــاشـــر عـــقـــداً ولا نـــظـــام

هذه هي رباب في فخرها واعتزازها بالأجداد والآباء والمثل العليا وهو الغاية الشريفة في هذا الباب الذي نهج عليه الأوائل من شعراء هذه الأمة النجباء.

نماذج من شعرها

أنا رباب

قالتها ولم تبلغ العاشرة من عمرها ويقال أنها أول ما قالت.

أنا رباب الشاطرة ... إلى الأمام سائرة
بالعلم أدرك المنى ... والجد والمثابرة
أجد لا أخشى العثـ ... ـار يوم غيري العاثرة
أذود عن كرامتي ... وعن بلادي الطاهرة
من دونها لي إذن ... تصغى وعين ساهرة
نفسي فداء أمتي ... وأمتي لي ناظرة
بلغت غايات المنى ... وما بلغت العاشرة
إن نسي المجد ذوي ... المجد فإني ذاكرة
شاعرة بإنني خير فتاة شاعرة

إن سحر القول ... فإني بمقالي ساحرة
لغير أمي وأبي ... ما كنت يوماً صاغرة
أنا بأمي وأبي ... بين الورى مفاخرة
بغداد لي إذا انتمى ... مجدي ومصر القاهرة
أن نسبوا أخلاقنا ... فهي الرياض الزاهرة
أو ذكروا أنسابنا ... فهي الشموس السافرة
إذا مشينا وقفت ... لعزنا القياصرة

وإن بـــديـــنـــا ســجــــدت   لــــنـــورنـــا الأكـــاســـرة
إنـــا لـــمــن عـــلـــمـــنـــي   حـــامـــدة وشـــاكـــرة
أقـــتـــحــم الـــغـــر ولا   أخـــاف فـــيـــض الـــهـــاجـــرة
تـــبـــاً لــحـــكـــم كـــم لـــه   مـــن طـــعـــنـــة فـــي الـــخـــاســـرة
لا خـــيـــر فـــي حـــكـــومـــة   عـــلـــى الـــبـــلاد جـــائـــرة
أعـــزلـــهـــا ولـــم أكـــن   لـــلـــظـــلـــم يـــومـــاً عـــاذرة
ســـوى تـــرى نـــفـــوســـهـــم في ظـــلـــمـــات حـــائـــرة
دارت عـــلـــى رؤوســـهـــم   يـــوم تـــدور الـــدائـــرة

إلى الفردوس قائدها يؤول
في رثاء سعد زغلول

أبـي سـعـد ومـثـل أبـي قـلـيـل ... وأمـي مـصـر فـهـي بـه ثـكـول
أبـي سـعـد وأمـي أم سـعـد ... يـنـاء فـتـستحف بـهـا الـحـمـول
يـمـيـل هـواي بـي لأبـي وأمـي ... وكـل هـوى بـصـاحـبـه يـمـيـل
ومـا فـي الـنـاس مـثـل أبـي وأمـي ... أمـت إلـى ذراه وأسـتـطـيـل
دنـا الأبـوان لـي فـأب تـنـاءت ... بـه أيـامـه وأب عـلـيـل
مـقـيـم ذا عـلـى ألـم مـضـيـض ... وذاك نـجـا وقـد حـل الـرحـيـل
ولـي أمّـان أم لـيـس تـغـنـى ... وأم غـالـهـا مـن قـبـل غـول
فـواحـدة تـعـيـش مـع الـلـيـالـي ... مـوطـدة وواحـدة تـزول
أعـائـش لـو بـقـيـت لـمـا تـبـقـى ... عـلـى سـعـد لـعـيـشـك مـا يـطـيـل
يـا أم الـربـاب ثـقـي وقـري ... فـإن أبـا ربـابـك بـي كـفـيـل
وإن الله حـسـبـي يـوم تـنـتـا ... بـنـي الـجـلـس ولـي نـعـم الـوكـيـل
فـلا والله لا تـنـسـاك عـيـنـي ... ولا يـنـسـاك قـلـبـي والـغـلـيـل
لأنـت كـلاهـمـا عـيـنـي وقـلـبـي ... ولـلـحـالـيـن مـن لـهـبـي مـحـيـل
يـدوم لـنـا عـلـى الـدنـيـا هـنـاء ... ولـلـدنـيـا بـأهـلـيـهـا ثـكـول
نـصـدق والأمـانـي كـاذبـات ... ونـلـهـو والـحـتـوف بـنـا نـزول
ألـم تـر كـيـف نـوحـت الـرزايـا ... وقـلـص ذلـك الـظـل الـظـلـيـل
فـمـن ذا يـوقـظ الـشـرق اعـتـزامـاً ... إذا مـا مـضـى بـالـشـرق الـخـمـول

لئن سرت المنون فلا عليم يسير إلى النجاة ولا جهول
وإن كرت الشعوب فلا شباب ولا شيب تكر ولا كهول
لقد وقع المصاب فلا مصاب يروعنا ولا خطب جليل
ملا السلوان يخطر بعد سعد ولا الصبر الجميل بن جميل
أحاول أن أداري بعض ما بي ودمعي دون كتماني يحول
وكيف أصد نفس عن جواها وسعد لا يجيء له رسول
ولا تعنى وصيف بزائريها ولا يقرى بساحتها نزيل
سلوا سعداً فعهدي أن سعداً يجيب ولا يخيب لديه سول
هل الدنيا تولت إذ تولى أم الدنيا تولاها الذهول
دليل الشرق هل أبصرت يوماً بنية تحار أنت لها دليل
إذا قالوا قليل مثل هذا فمثلك لا كثير ولا قليل
ومن هذا يقال له رئيس جليل لا يدانيه جليل
ولو جاز البديل لقلت أني ومن فوق الثرى منه بديل
لئن يك أول الدنيا اغتيالا فإن الموت آخر من يغول

❁ ❁ ❁

وذي لجب يفر الموت منه تكر على جوانبه الخيول
منكسة به الأعلام يمشي وراء النعش والهامات حيل
قبائل من هنا وهناك جاءت كموج البحر يغشاها الجفول
وأقطار على كمد تلاقت ركائبها النبيلة والنبيل
وما وافى قبيل العرب إلاّ ووافاه من العجم القبيل
تسير وراء قائدها ولكن إلى الفردوس قائدها يؤول
تودعه وللمهجات نار تشب أسى وللمقل السيول
أقيموها مآتم لا حزون نأت عن حفلهن ولا سهول
وشقوها حرائر لا غدير خلا من جرحهن ولا عذول
ولا تدعوا النساء تشق جيباً فشق الجيب تأباه العقول
ولا سحبت على الأحزاب ذيلاً فإن الصبر أجمل ما يذيل

ومن تك أمه مصر وسعد ... أبوه فهو صبار حمول

❁ ❁ ❁

على صدر الزعيم وقد تعالى ... وسام في جناجنه دخيل
وسام فوق أوسمه المعالي ... له غرر المعالي والحجول
يتيه به وللعلياء تيه ... شهيد دون موطنه قتيل
ألا لا تنثروا زهراً عليه ... فزهر الخلد ليس به ذبول
ولا تدعوا الدموع تبل قبراً ... فبالرحمات مرقده بليل
ولا تبنوا قباباً حول سعد ... فإن بناء سعد مستطيل
ولا تضعوا تماثيلاً لشيخ ... له في كل صالحه مثول
هو الفرد الذي وحدتموه ... فلا ند يجيء ولا مثيل
ثقوا بالله ثم به وسيرا ... على أثاره يضيء السبيل
ولا شيبت عقائدكم بيأس ... فإن اليأس معتقد وبيل
أيرتحل الرجاء وروح سعد ... لها في كل جائحة حلول
ومبدأ سعد لا يوهيه موت ... ولا ينأى به الخطب الجليل
ومن ركب العزائم للدرارى ... فإن منالها لا مستحيل
ألم تر سعد كيف رقى إليها ... فكان له على الأوج الحصول

❁ ❁ ❁

لقد حسبوا ينال النفي منه ... إذا بالنفي من مجد ينيل
وقد خالوا اليراع بكل حدا ... إذا ذاك الخيال هو الكليل
وخالوا أن سيف العزم يصدا ... فعاد السيف وهو به صقيل
وإن الليث أني سار ليث ... وإن الغيل أني حل غيل
يعظم قدره شرق وغرب ... ويكبر فعله جل فجيل
إذاً للمجد لا ينميك سعد ... فلا ذلت الفروع ولا الأصول

❁ ❁ ❁

فمن يا مصر ينصر فيك حقاً ... إذا ما الحق داهمه الخذول
ومن يا مصر يخصب منك أرضاً ... إذا ما حز بالوادي محول

ومن لك يوم تتفق الأعادي   على المرمى وتشتبك النصول
ومن ذا يغمر السودان فضلاً   ودون الطامعين به يحول
إذا ما سعد عز به حمانا   فصرف الدهر خوار ذليل
إذا وجمت مشاكلنا فسعد   قؤول في مواقفها فعول
إذا ما الشعب خلاه أبوه   فابن الشعب جوال صؤول
إذا خلا السبنتي الخيس يوماً   فإن مكانه تثب الشبول
وما قصرت حياة أب وجد   بأبناء وأحفاد تطول

❀ ❀ ❀

صفيتنا اصطفاك الشعب يوماً   تعادله وليس لها عديل
صفيتنا إذا أشبهت سعداً   فإنكما الجليلة والجليل
لأنت اليوم من ميراث سعد   ومن ميراثه الصنع الجميل
بقيت لنا بقاء المجد فينا   وعمر المجد في مصر طويل
وجاهك مثل جاه الشمس لكن   يضيء وليس تحجبه السدول
وحدك مثل حد السيف لكن   يغل وليس يعروه فلول
عزاء أمنا ولك التأسي   إذا سبقتك زينب والبتول
إذا خلاك للأوطان سعد   فقد خلى حلائله الرسول

❀ ❀ ❀

وما الدنيا بواسعة مجالاً   إذا ما قيل زغلول يجول
سماوات العلى رحبت سبيلاً   إذا ما ضاق في الأرض السبيل[1]

---

(١) ذكرى سعد زغلول في العراق لخلف شوقي أمين الداوودي، مطبعة دار السلام ببغداد ١٣٤٦/١٩٢٧ عن جريدة العالم العربي العدد ١١٠٩/٢٥ تشرين الأول ١٩٢٧.

في استقبال أم المصريين

قـرت بـمـقـدمـك الـعـيـون ... واسـتـبـشـر الـقـلـب الـحـزيـن
وتـــراجـــع الأمـــل الـــذي ... يـــصـــبـــو إلـــيـــه الآمـــلـــون
حـــمـــلـــت إلـــيـــنـــا ســـاعـــة ... مـــا لـــيـــس تـــحـــمـــلـــه الـــســـنـــون
تـــلـــك الـــبـــشـــائـــر أســـمـــعـــت ... فـــي الـــحـــي مـــن لا يـــســـمـــعـــون
قـــالـــوا صـــفـــيـــة أقـــبـــلـــت ... فـــتـــنـــافـــس الـــمـــتـــنـــافـــســـون
ضـــربـــوا بـــوجـــه الـــشـــمـــس لـــمـــا شـــاهـــدوا الـــوجـــه الـــمـــصـــون
وتـــهـــافـــتـــوا مـــثـــل الـــفـــراش ... عـــلـــى الـــركـــائـــب يـــلـــثـــمـــون
وكـــأنـــهـــم جـــيـــش تـــرا ... جـــع بـــعـــدمـــا فـــتـــح الـــحـــصـــون
يـــســـتـــقـــبـــلـــون الـــشـــمـــس فـــي ... الـــركـــب الـــذي يـــســـتـــقـــبـــلـــون
مـــن ذا رأى شـــمـــس الـــضـــحـــى ... تـــمـــشـــي عـــلـــى مـــرأى الـــعـــيـــون
قـــد طـــأطـــأوا هـــامـــاتـــهـــم ... دون الـــجـــلال مـــنـــكـــســـيـــن
لـــمـــا طـــلـــعـــت عـــلـــيـــهـــم ... والـــشـــك يـــجـــلـــوه الـــيـــقـــيـــن
ركـــعـــوا ولـــولا خـــشـــيـــة ... الـــرحـــمـــن خـــروا ســـاجـــديـــن
وكـــأنـــهـــم بـــيـــن الـــصـــفـــا ... أدوا الـــفـــرائـــض والـــحـــجـــون
نـــظـــروا إلـــى ذاك الـــجـــلا ... ل مـــهـــلـــلـــيـــن مـــكـــبـــريـــن
هـــتـــفـــوا كـــقـــصـــف الـــرعـــد إذ ... شـــامـــوا ســـنـــى ذاك الـــجـــبـــيـــن
وتـــرنـــمـــوا فـــوق الـــربـــى ... مـــثـــل الـــطـــيـــور عـــلـــى الـــغـــصـــون
وتـــمـــاثـــل الأيـــمـــان حـــيـــن ... تـــمـــاثـــلـــت تـــلـــك الـــظـــعـــون
يـــتـــلـــون آيـــات الـــمـــكـــارم ... بـــالـــمـــكـــارم مـــوقـــنـــيـــن

من كل أكرم هاتف … بدعائه للأكرمين
كل يردد قوله … آبت لي الأم الحنون

❁ ❁ ❁

يا خير أم برة … لبنات مصر والبنين
الشعب بحر زاخر … يجري كما تجري السنين
وافاك يحمل باقة … فيها الولاء كما ترين
وكأنه والشمس تصهر … في ظلال الياسمين
يطوى وينشر وده … لك في السهول وفي الحزون
يرضيه مما كان من … أيامه ما ترتضين
أعطاك ربك فافضلي … فيما ملكت الأفضلين
أنت الشهامة والكرامة … في نفوس الصادقين
أنت الفضيلة زينة … خير الفضائل ما يزين
مما يثير شجوننا … نفر حديثهم شجون
قد حملوك همومنا … لله ما تتحملين
هذي صفية والبرايا … حولها مستبشرين
قرنوا بسعد شخصها … ولكل ذي شيم قرين
فكأن سعداً ماثل … في شخصها للناظرين
وكأن سعداً سائر … في موكب الحرم المصون
ما بعد هذا مفخر … عند العلى لمفاخرين
إن الذي خدم الورى … بمراتب العليا قمين
ما كان أعرفهم بما … في الركب من دنيا ودين
قرؤا بوجهك آية … هي آية الحق المبين
ظمئوا إلى ذاك البيا … ن وشاقهم ذاك المعين
بثي النصيحة في الأُلى … ضلوا عساهم يهتدون
أسدي العظات وذكري … فلعلهم يتذكرون

❁ ❁ ❁

تشكو لك الأوطان من … نفر عليها خارجين

قلبوا لها ظهر المجن ورعوا حتى الجنين
لبوا الخداع وما دروا بالنار أمسو يلعبون
قد هالهم جد الغزا ثم جاؤا يوم يهذلون
قد كدروا صفو السلام وأججوا الحرب الزبون
يذكرن فينا جذوة هم طعمها لو يدركون
شهروا سلاح الأقويا ء ليطعنوا المستضعفين
سيف المظالم باطل والحق سيف الأضعفين
أدموا بهن حشى البلا د وكل من فيها قطين
حملوا على الوادي الأمين يروعون ويفتكون
وتطاولوا حتى على دستوره متآمرين
جعلوه خلف ظهورهم وتقدموا متأخرين
والناس عما دبروا للناس ليسوا غافلين
يتحكمون وليتهم علموا بمن يتحكمون
غرتهم تلك الأماني فارتموا متهافتين
مرض أصاب عقولهم وشعورهم لو يشعرون
وسيعلمون متى انجلى ذاك الغبار من الغبين
الفوز للأوطان أم لصنائع مستعمرين

❀ ❀ ❀

يا أيها النفر الألى فتنوا بداعيه الفتون
إني أسائلكم ومن حولي البلاد لها أنين
ما يصنع الجهال إن جهل الهداة العالمون
أجهلتموا الآمنا أم أنتموا لا تعبأون
هل أنتمو في مأمن مما له تستهدفون
هلا أخذتم أهبة لمطامع المتأهبين
إن بعتموا استقلالكم يوماً فماذا تشرون
أودعتموا أوطانكم عنتا بماذا تؤمنون
وما بالكم أصبحتموا لا تبصرون ولا تعون

أين العهود السالفات ... وأين ذياك اليمين
أو أنتموا ممن همو ... من ربهم لا يستحون
إني أخاف عليكمو ... أخذات سخط الساخطين
وأخاف أن تهوى بكم ... هضبات زلزال مهين
وكأنكم من هوله ... في (يوكهامة أرمسين)
لا توبة تجدي ولا ... ندم يفيد النادمين
تمشون في ظلم الدجى ... والصبح وضاح الجبين
هلا برزتم للشيو ... خ وبنتم للنائبين
وحملتم ثقة البلا ... د سليمة محايشين

❁ ❁ ❁

تهنيكم ثقة تجـ ... ىء بها إليكم موثقين
أفصلتموا تلك القضـ ... ية يوم جئتم تحكمون
فاجأتموا ذاك الولـ ... د بقسوة المتكبرين
ووأدتموه خيفة ... أن يستقر إلى مكين
وقطعتموه قبل أن ... تصلوه بالحبل المتين
هذي دمنهور سلوها ... كيف بات بها السجين
هتفوا لحمزة فاستحقوا ... ما يروع المذنبين
حفلوا بتائبهم فكا ... نوا في عداد المجرعين
وعنوا بغائبهم فكا ... نوا في غيابات السجون
هذا هو الدستور صو ... رته الصحيحة تبتغون

❁ ❁ ❁

ثوبوا إلى العهد الذي ... فيه نجا المتضامنون
لا تجعلوا أغراضكم ... جسراً عليه تعبرون
لا تجعلوها سلماً ... يرقى عليها المعتدون

❁ ❁ ❁

لا تسألي الحزب الذي ... أفراده يتحزبون

بل سائلي القوم الألى ظني بهم لا يسألون
نصبوا لنا تلك الحبا ئل يرفعون وينصبون
شر المناصب ما يقو م على حراب الغاصبين
تلك المناصب سبة أمست لقوم يعقلون

❀ ❀ ❀

قولي لمن خدعوهمو لا تخدعنكم والظنون
لا تكثروا غمزاتكم ففتاة مصر لا تلين
أحسبتمو أن مات سعـ ـدنلتمو ما تشتهون
أم خلتموا ذاك البنا ء يهي على مر السنين
ما مات من أحيا الشـ ـعوب وذكره في الخالدين
إن تهدموا بالظلم السـ ـنة لمن يتكلمون
لم تهدموا ما شاد سـ ـعد في القلوب من الحصون
بنيان سعد ثابت ليست تزعزعه القرون
عودوا على أعقابكم فشبول سعد في العرين
هيهات تأسى أمة ووكيلها الوفد الأمين
صبراً فما بلغ المنى إلا الكرام الصابرون
خلوا الزعامة فهي ثوب من ثياب المصلحين
لا تلبسوها معشراً لم يفقهوا ما يلبسون
خمسون عاماً في الجها د رموا بها مستهزئين
طعنوا وليد جهادنا فسمعت في قلبي رنين
دفنوه حياً وانثنوا والناس تبكي يضحكون
طعنوا حشاشات البلا د فلا يبل لها طعين
جهلوا الحقيقة والحقيـ ـقة لا يعيها الجاهلون
حسبوا الزمان كما هموا حسبوا وما هم يحسبون
نسجوا وبيت العنكبوت أتم مما ينسجون
هتك الهوى حرم القلو ب فبان ما فيها كمين
ولربما فعل الهوى بذوي الهوى فعل الجنون

ركبوا رؤوسهم إلى غاياتهم يتخبطون
إن الذي جاؤا به يوم الخميس مفاجئين
ما كان أمرهمو ولكن كان أمر الآمرين
القابضين على الأعنة باليسار وباليمين
الداخلين إلى الممالك عن طريق المالكين
زعموا يجوز خداعهم فلبئس زعم الزاعمين
وعدوا ولا ندري متى حين الوفاء لنا يحين
أرأيت وعداً واحداً وأفين من تلك المئين
ظلموا البلاد وروعوا فيها قلوب الآمنين
والله ليس بغافل في الأرض عما يعملون
يا ناعي الدستور لا تصدع به القلب الركين
دستورنا حي ومصر منه في حصن حصين
لم يدفنوه وإنما نبشوا به السر الدفين
إن الحوادث حبرت ما كان ثم وما يكون
في كل صدر نية تبدوا وأخرى لا تبين

❀ ❀ ❀

يا مصر لا تستسلمي فبنوك لا يستسلمون
سيظل سعيك عادلاً حتى يبيد الظالمون
ويظل عزمك صادقاً وذوي المآرب يكذبون
والدهر أصدق شاهد أن الحقيقة لا تمين
كان الهوان نصيبه من بالخلائق يستهين
سيري ولا تستعظمي إن العظائم قد تهون
وتبصري في الأمر فالعقبى لمن يتبصرون
ما مات حق عاش في كنف الرجال المخلصين
كلا ولا قصرت يد طالت بأيدي العاملين
من كان أنفع للأنام فشأنه فوق الشؤون

❀ ❀ ❀

يا أمنا لا تجزعي ... فبنو العلى لا يجزعون
من كنت أنت إمامهم ... أو أمهم لا يقنطون
وإلى العظات أمانة ... لا شانك الزمن الخئون
وحييت يا آمالنا ... لا فرقتك يد المنون
وقربت يا دستورنا ... لا أبعدتك نوى سطون
وسلمت يا أوطاننا ... لا نال منك المبطلون
شعب صفية أمه ... وأبوه سعد لا يهون
وحمى يعز بأهله ... طول المدى لا يستكين
المصطفون أمامه ... ووراءه والمصطفين
قد أحسنوا بجهادهم ... والله يجزي المحسنين(١)

(١) مجلة الشرق العدد ٨/٤١ آب ١٩٢٨/ ص ١١ القاهرة، ونشر قسم منها في مجلد ١٦ جزء ١ ص ٥٨ من مجلة العرفان بصيدا في آب ١٩٢٨.

جزيت خيراً عن الإنسان تنقذه

يهنيك جودك يا من حدث بالمال ... فمثل جودك لم يخطر على بال
يا واهب المائة الألف التي نزلت ... على القبيل نزول الغيث والآل
وهبت قومك مما تكتسى هبة ... جديد صنعك فيها ليس بالبالي
أولتهم منه غراء خالدة ... لا أول الجود يحكيها ولا التالي
أعظم بها هبة في الدهر تحسبها ... فريدة سطعت في جيده الحالي
أطلق بها كل مضني بات ليلته ... من الضنى بين أصفاء وأغلالي
ويا جواداً إذا جلى الجواد ترى ... في حلبه الجود منه خير جوال
أخلى لك القلب ميداناً تجول به ... والقلب من وجد مصر ليس بالخالي
سس القلوب بما يشقي القلوب ودع ... ذوي السياسة في قيل وفي قال
لقد تملكت بالأعمال صالحة ... من ليس يملك فيها غير أقوال
واصل فعالك واترك من يقول بلا ... فعل فكم بين قوال وفعّال
هل يقتدي بك من باتت خزائنه ... رهن المنيعين من باب وأقفال
عسى يجاريك أنداد ذوو كرم ... فلا نراك كريماً جنب بخال
جزيت خيراً عن الإنسان تنقذه ... من ظفر داء رهيب الناب قتال
قطعت موصول يأس غال غائله ... وجئت توصل آمالاً بآمال
أبدلت للمشتكي الآلام من علل ... يوماً بيوم وأحوالاً بأحوال
قد عاد يطمع منا أن يبل بها ... من لم يكن طامعاً منا بأبلال
تشيده صرح عز بل تقيم به ... لمصر قاعدة في صرحها العالي
تمثال شخصك فيما أنت فاعله ... يغنيك أكمله عن نصف تمثال

حياة شخصك ذكر قد تناقله عصر لعصر وأجيال لأجيال
أبقى على العمر أحسان يمت به عمر لعمر وآجال لآجال
لو عباد جودك فينا كل مكتنز ما كان في الناس ذوهم وبلبال
بمثل جودك منجاة الموطن من مخاوف تتولاها وأهوال
كذا ليستن ذو الحسنى لموطنه وهكذا ليشد ذو المال بالمال
ومن يكن همه إعظام أمته كان الخليق بإعظام وإجلال
قد عز مثلك بين القوم فادع وقل يا رب أمنن على قومي بأمثالي
وقيتنا السوء من سقم ومن ألم وقاك ربك في حل وترحال
والله يجزيك عن شيب رأفت بهم وعن كهول وشبان وأطفال[1]

---

(١) نشر قسم منها في مجلد ١٦/ جزء ٢/ ١٨٣ من مجلة العرفان في أيلول ١٩٢٨.

أنت الهدى

(في غرض وطني)

علم الجهاد عليك ممتد ... بند يرف بجنبه بند
وشموسه في الكون طالعة ... يبدو سناها أينما تبدو
أنت الهدى أما دنا ونأى ... أنت الجلال يروح أو يغدو
فجمال وجهك ماله شبه ... وجلال قدرك ماله حد
الناس تستبقى رضاك لها ... والأفق لا برق ولا رعد
يوم الجهاد شذاك عاد به ... بين الرياض الغار والرند
ما قابلتك الريح نادبة ... إلا وفاح الطيب والند
فإذا بعدت فوردنا غصص ... وإذا دنوت فعيشنا رغد
البعد قرب أنت تنشئه ... والقرب إن لم تنشه بعد
ود الكريم لقاك مغتبطاً ... وقلى لقاك الألئم الوغد
فنواظر الأحباب شائمة ... وعيون أعداء السنى رمد
ولقد تقابل من هوى وجوى ... فرح القلوب لديك والوجد
فالنور ذا بين الورى قبس ... والنار ذي بين الحشى وقد
هل كان عندك يوم عدت لنا ... ذكراك فيها الصاب والشهد
الصاب قوم فيك قد هزلوا ... والشهد قوم فيك قد جدوا

❀ ❀ ❀

يا يوم أنت الوافدين بدا ... والشعب ما يبدو هو الوفد

لولا ضعاف فيك قد خرجوا ... حين ارتقى الجمعان وارتدوا
ما كان في بحر الأُلىٰ عصبوا ... جزر على مصر ولا مد
قوم إذا جاملتهم شمخوا ... كبراً وإن واصلتهم صدوا
قد أخمدوا الأنفاس في بلد ... أخذوا نفائسه وما ردوا
عقدوا وحلوا رغم ساكنه ... ولمصر لا حمل ولا عقد
فرباعنا سكن لظالمهم ... وديارنا لسيوفهم غمد
فإذا سكت فللحشى كمد ... وإذا نطقت فللظى حصد
أبوابنا لهم مفتحة ... وسبيلنا للعز منسد
ونصيب مصر منهم عنة ... ونصيبهم من أرضها رفد
عكساً وطرداً كان باطلهم ... والحق لا عكس ولا طرد
نصبوا حبائلهم ليقتنصوا ... وعلى الأنوف حبالهم مدوا
أغروا الضعاف فضاعفوا عنة ... الغور منهم ضج والنجد
قتلو وليد الجهد يسبقهم ... في قتله الأصرار والعمد
ضموه في اللحد الذي احتفروا ... لله ماذا ضمه اللحد
طفل توفاه العناد وما ... وفى سنى حياته المهد
وأدتك يا دستورنا فئة ... خرجت عليك وراقها الوَئد
أأسر وجدي أم أبوح به ... وأنوح في ذا اليوم أم أشد
ماذا يعد لمعتد بلد ... وعداته من أهله عدو
لولا اعوجاج في طرائقهم ... ما قام في طرق المنى سد
وسيعلمون إذا أتى غدهم ... أي الوجوه به ستسود
هيهات أن نرضى وليس لنا ... من غضبة دون الحمى بد
سنطارد الغي الذي ألفو ... حتى يثوب إليهم الرشد
ونجاهد القوم الأُلى نزلوا ... أو أن يقال رحالهم شدوا
يا مصر إن قويت مظالمهم ... فقوي المظالهم سوف تنهد
ما لان عودك في صلابته ... والحادثات عليك تشتد

❁ ❁ ❁

يا يوم سعد عد لنا وأعد ... سعداً يحي قومه سعد

هـذي مـنـابـره قـد اجـتـمـعـت كي يـرتـقـيـهـا الـمـصـقـع الـفـرد
يـا سـعـد لا تـحـزن فـقـد وثـبـت تـجي الـعـريـن رجـالـك الأسـد
ابـنـاك كـل عـنـد مـوقـفـه أسـد عـلـى أعـدائـه ورد
هـذا خـلـيـفـتـك الـذي وثـقـوا أن يـحـمـل الأعـبـاء واعـتـدوا
قـد سـار بـالأوطـان مـنـتـهـجـاً سنن الـطـريـق إذا الـتـوى الـقـصـد
طـلـبـوا الـنـديـد لـه فـقـلـت لـهـم هـيـهـات لـيـس لـمـصـطـفـى نـد
عـدل مـلا الـتـقـريـض يـطـربـه يـومـاً ولـيـس يـروعـه الـنـقـد
يـا مـصـطـفـى سـعـد بـقـيـت لـنـا ولـديـك مـنـه الـيـمـن والـسـعـد
أسـلـم فـأنـت الـيـوم قـائـدنـا لـلـمـكـرمـات وكـلـنـا جـنـد
لا راقـنـا عـيـش ولا سـلـمـت أرواحـنـا أو يـسـلـم الـمـجـد
لـيـنـم أبـي سـعـد فـقـد سـهـرت أمـي صـفـيـة سـعـيـهـا جـد
تـمـسـي وتـصـبـح غـيـر لاهـيـة لـدى الـنـهـى في ظـلـهـا حـشـد
يـا أم مـصـر إن ظـمـئـت إلـى ورد الـفـخـار فـقـد جـلـى الـورد
الـمـجـد مـجـدك أيـن كـنـت لـه والـحـد عـزمـك إن نـبـا الـحـد
وبـنـوك دون الـحـصـن قـد ثـبـتـوا لـم يـثـنـهـم حـر ولا بـرد
مـاضـون مـا فـلـت عـزائـهـم بـيـض ولا جـهـالـة جـرد
مـهـمـا تـمـادت في الـحـمـى نـوب فـالـشـعـب صـبـار لـهـا جـلـد
الـشـرق لـيـس بـبـالـع أمـلاً حـتـى يـعـود الـشـرق والـسـهـد
أو يـنـتـهـي والـنـفـس راضـيـة حـقـد الـنـفـوس ويـبـتـدي الـود
ويـعـود سـعـد مـثـلـه حـسـن وتـعـود مـثـل صـفـيـة هـنـد
فـإذا دعـا فـي مـصـر ذو ألـم فـالـصـيـن في الـصـاعـين والـهـنـد
والـشـام مـصـر والـعـراق دنـا يـمـن بـه وتـهـامـة نـجـد
سـأقـول قـافـيـة فـقـافـيـة لا قـبـلـهـا قـبـل ولا بـعـد
يـوم الـجـهـاد إلـيـك مـعـذرتـي ولـسـامـعـي الـشـكـر والـحـمـد
أم الـبـلاد فـردت مـلـجـأهـا وأبـو الـبـلاد مـقـره الـخـلـد[1]

❀ ❀ ❀

(١) نشرت في ١٣ نوفمبر ١٩٢٨.

إلى أحد أُمراء العرب وكان صديقاً حميماً لوالدها

تـــحـــيـــة الأجـــلال بـــراعـــة أســـتـــهـــلال
ارفـــعـــهـــا عـــالـــيـــة إلـــى الـــمـــقـــر الـــعـــالـــي
إلـــى الـــذي لـــيـــس لـــه فـــي الأفـــق مـــن مـــثـــال
إلـــى الـــهـــدى الـــصـــادع فـــي الـــنـــاس دجـــى الـــضـــلال
إلـــى الـــســـنـــى الـــســـاطـــع فـــي الـــغـــدوّ والآصـــال
إلـــى الـــنـــدى الـــقـــاطـــع فـــيـــ نـــا دابـــر الأمـــحـــال
إلـــى ذوابـــه الـــعـــلـــى الـــوارفـــه الـــظـــلال
إلـــى مـــعـــارج الـــرجـــا ومـــلـــتـــقـــى الآمـــال
إلـــى مـــخـــارم الـــذرى والـــقـــمـــم الـــعـــوالـــي
إلـــى مـــصـــارع الـــعـــدى الـــكـــواشـــح الـــضـــلاّل
إلـــى الـــحـــمـــى الـــمـــقـــيـــل عـــنـــ د زلـــه الـــلـــيـــالـــي
إلـــى الـــمـــجـــيـــر الـــفـــرد عـــنـــ د شـــدة الأهـــوال
إلـــى الـــمـــنـــث الأمـــن فـــي الـــســـهـــول والأجـــبـــال
إلـــى الـــجـــراز الـــعـــضـــب و الـــمـــثـــقـــف الـــعـــثـــال
إلـــى الـــمـــجـــيـــب حـــيـــث لا يـــجـــاب ذو الـــتـــســـئـــآل
إلـــى الـــصـــراط الأقـــوم الـــهـــادي إلـــى الـــكـــمـــال

❀ ❀ ❀

ما إن مشت جروحنا ... يوماً إلى أندمال
ما أن نجت صدورنا ... من صيب النبال
ما إن حلت أقامتي ... يوماً أو ارتحالي
ما إن خلت عيوننا ... من دمعها الهطّال
ما إن سخت أفكارنا ... بالدرر الغوالي
ما إن سمت أطلالنا ... لولا أبو طلال

❀ ❀ ❀

يا عاليا فات مدى الأ ... نجم في النعالي
طأ الثريا وأقم ... على ذرى الجلال
وانتعل الشمس فمنـ ... ـك الشمس في النعال
من ذاك رد جوده ... من غير ما سؤال
من ذاك وافٍ وعده ... من غير ما مطال
من ذاك يدعى في الورى ... بالقائل الفعّال
أنت بلا نزاع ... ذاك ولا جدال

❀ ❀ ❀

يا غيث هل من قطرة ... من جودك الهطّال
يا برح هل لؤلؤة ... من تكلم اللئآلي
تذهب في الأعناق ... للأطواق والأغلال
مغيثنا قد صمم الخطـ ... ـب على النكال
يا ابن النبي نظرة ... تعيد لي اختيالي
قد عطش الروض فجد ... يا غيث بانهمال
مكثي على مستخلص الو ... لاء وانتقالي
والناس اثنان إذا ... جاؤوا على التوالي
هذا ودود قد رعى ... العهد وذاك قالي
هذا يسير للنهي ... وذاك للخبال
حقيقة الناس غدت ... في الناس كالخيال
لا يهتدي الناظر في ... الطباع والخصال

نفوسهم طابعها تباين الخلال
الناس في قبل قضوا أعمارهم وقال
ما هالهم أمر غد أمر غد ذو بال
كم جائع من بشر للحمنا أكال
يسيرفي الأرض كما الحمير والبغال
ما همه في الناس غير السمن والهزال

❀ ❀ ❀

يا ابن النبي صولة من ذلك الصيال
قد ظمأت سيوفنا إلى الدم الحلال
تصدا وما لحدّها كالهام من صقال
تمضي إذا حد نبا بعزمك الفصال

❀ ❀ ❀

الأعصر الأواتي تشهد والخوالي
أواخرَ العرب لنا والعرب الأوالي
لنا العلي آمنة من عبث الزوال
لنا الوجوه المشرقات في دجى القسطال
لنا الجياد القب من جار ومن جوال
لنا السيوف البيض لا تخاف من كلال
لنا القنا مطرابة والخيل في تصهال
تضرب في الصدور أو تطعن في الأكفال
أنّا أناس خلقوا للذود والنضال
نذب عن أوطاننا بالقول والفعال
وليس منا دونها بالنفس من بخال
من يشتري المجد له أرخص كل غال

❀ ❀ ❀

قد أبطل الحق الصرا ح أيما أبطال

ما جاء من باطل قوم بيننا نزال
كل انتداب باطل فينا أو احتلال
نطرب للداعي متى يدعو إلى النزال
بيض مواضينا أبت والسمر العوالي
أما حياة حرة أو ميتة الأبطال

❀ ❀ ❀

آل النبي أنتمُ في المجد خير آل
أنتم من الله تعالى نقطة اتصالي
من ذا يسامي مجدكم في المجد أو يعالي
أعمالكم جميعها صوالح الأعمال
نفديكمُ بما لنا من أنفس ومال
أدّبتم الدهر إذا ما جار بالنوال
وباليمين كلتمُ الجود وبالشمال
لا أغرق اليوم إذا قلت ولا أغالي
بيتكمُ في مصر من كل متاع خال
فليس فيه من أثاث غير ما أسمال
قد بليت وجاوزت شفاعة البوالي
في البر أنتم مثلٌ أناف في الأمثال
إذا البرايا قطعوا زدتمُ في الوصال

❀ ❀ ❀

إن لم نصل دون الحمى لعزمنا الصوال
ولم تكن نفوسنا دريئة النصال
ولم تسل دماؤنا سيلاً على الرمال
ولم تعد فتاتنا ند الفتى المفضال
ولم نذر ديارهم طوامس الأطلال
ولم نجر أوطاننا من جائر ختال
ولم ننج الحصن من براثن الرئبال

لسنا أذن بتاتكم ... يا خيرة الرجال
لا سلمت أرواحنا ... أو تسلم المعالي
هيهات أن نعبأ با ... لموت وأن نبالي
نواصل الجهاد لا ... نخشى من الملال
أما إلى موت شريف ... أو إلى استقلال
لمجدنا ثوروا تثر ... روابض الأشبال
المجد ليس بالبكا ... ينقذ والأعوال
المجد غرقان أمدوا ... اليد لانتشال
أنتم إذا المجد بدا ... في السهل والتلال
الصيد في قصورها ... والأسد في الأغيال
أنتم هدانا وهدى ... الأحقاب والأجيال

❀ ❀ ❀

سوف تعود قوة ... الظلم إلى انحلال
وقوة الحق ستبقى ... أبد الليالي
هل ساعة تقي الحمى ... غوائل الغوّالي
قد حملوا وحرموا ... النهوض بالأحمال
وغادروا باب المنى ... محكمة الأقفال
واتخذوا من جهلنا ... وسيلة اغتيال
وهل عليم في الورى ... إلا من الجهال
كم من صحيح جره ... الجهل إلى اعتلال
فمن وبال جرنا الجهـ ... ـل إلى وبال

❀ ❀ ❀

لولا الزمان واشتغا ... ل الحائر اشتغالي
ما رحت أشكو واحتما ... ل الجبل احتمالي
ولا صبرت ساعة ... على الجوى القتال

❀ ❀ ❀

يا أيها المولى تلا ... ف محنه الموالي
تلافهم من محنة ... هدت قوى الجبال
أصخ إلى بيتك وانظـ ... ـر سهر العيال
ما لو شرحناه لشـ ... ـابت لمم الأطفال
طال أسانا في ليا ... ل في الأسى طوال
دلت على أحوالنا ... قرائن الأحوال
أذلنا البؤس وبئـ ... ـس العيش في الأذلال
أما أبي فحاله ... في البيت شر حال
رهن الفراش في تداوى ... دائه العضال
يقعد بالخفاف أو ... يقوم بالثقال
إن سار عنه همه ... سار إلى الأبلال
ولا تسل عما ... نلاقيه من الأنذال
ما كان من جزّارهم ... كان من البدال
وما عداه عاجز ... عن وصفه مقالي
يغنيك عن تفصيل ما ... يسوءنا أجمالي
شرحته جميعه ... لو لم يضق مجالي
وهكذا الدنيا فمن ... حال جرت لحال
ورب صاب عاد في الـ ... ـعقبى إلى الجريال

❀ ❀ ❀

ولي أمري أنت للأ ... مور خير وال
قد هجم البرد علينا ... هجمة المغتال
ما بيننا وبينه ... دارت رحى القتال
وليس عندي من سلا ... ح غير طمر بال
ولا حذاء اعتلى ... به عن الأوحال
ولا رداء أتقى ... به قذى القسطال
ويلاته من عنقي ... ممدودة الحبال
أن لم تحل فعيشنا ... ضرب من المحال

لو كان عندي بعض ما عند ذوي الدلال
لرحت أمشي في البلا د مشية المختال
أجسامنا لنار حرب قوه الصوال
وفي الصدور من جوى مراجل غوال
بك احتفائي عند ذكر الجود واحتفالي
عقيدتي راسخه لا تنمحي من بالي
ودّعت همي أن يكن لبرك استقبالي
لئن يكن برك بي نجوت من بلبالي
أعجل ولا تمهل فخير البر في الأعجال
إذا وصلت فالمنى قريبة المنال
وإن قطعت فالرجا مقطع الأوصال
فعش لنا وابق لنا في الحل والترحال

(في المعترك)

تخاطب عمها في غرض خاص

أدبي لدى الأيام جرمي ... وجريرتي في الدهر علمي
أظمىٰ ولا أحظى بغير ... موارد في الناس تظمي
أصغى إلى زمني وطيـ ... ـب كلامه حرقات كلم
غودرت بين حقيـ ... ـقة حيرانة أمشي ووهمي
وبقيت ما بقيت يد ... بقيت بها آثار وشم
لا اهتدى إلاّ إلى ... عُصُرٍ من التخريف قدم
أغدو على حر الجوى ... وأروح في غيظي وكظمي
يهنى المجاهد غنمه ... وغنيميّ في الجهد غرمي
أكذا المصائر كلها ... أما لغرم أو لغنم
أشكو الزمان وكل همي ... في الزمان علاج عدمي
فإذا عجمت العود يوماً ... ما لان ثم لوى بعجمي
وإذا جزمت برفع حظي ... عاد خفضا فيه جزمي
كل النجوم لدى الأحا ... ظى طالعات غير نجمي
رضيت بضم الأكثرين ... لها وما رضيت بضمي
أني حرمت وما نعمت ... بغير إحجاف وظلم
وفهمت محسوباً عليّ ... متى حسبت الرزق فهمي
فإذا جرت قسم الورى ... رغمي رضيت إذن برغمي

أن الـلـيـالـي بـالـغـت فـيـمـا يـصـم بـهـا ويـعـمـى
الـرامـيـات بـسـهـمـهـا والـرامـيـات بـغـيـر سـهـم
يـرمـى فـيـصـمـيـنـي الـزمـان وإن رميت فـلـسـتُ أصـمـي
سـفـه الـزمـان فـلـسـت بـعـد الـيـوم ألـقـاه بـحـلـمـي
سـأذيـقـه مـمـا أذاق بـنـي الـعـلىٰ مـن غـيـر جـرم
ضـحـكـت ثـنـايـاه لـهـم مـغـمـوسـة بـنـقـيـع سـم

❀ ❀ ❀

أنـا مـن أنـاس كـلـهـم بـدر ولـكـن عـنـد تـم
كـرمـوا ولـمـا يـلـبـسـوا لـعـداتـهـم جـلـبـاب لـؤم
فـإذا لـجـأت إلـيـهـم تـلـجـأ إلـى هـضـبـات شـم
لأبـي وأمـي أنـتـمـي والأطـيـبـان أبـي وأمـي
وبـخـيـر عـم أحـتـمـي والـعـم فـي الـلأواء يـحـمـي
والـوذ مـن دهـري بـه فـألـوذ بـالـجـبـل الأشـم
وإذا الـشـهـامـة جـاوبـتـك رأيـت مـنـه خـيـر شـهـم
لحرمت لولا سعيه المحمو د مـن سـمـعـي وشـمـي
أمـا أبـي فـلـقـد أبَـى عـنـد الـقـوافـي غـيـر حـكـمـي
لـم يـأل جـهـداً سـعـيـه فـمـن الـمـهـم إلـى الأهـم
ويـظـل فـي حـل الأخـص مـن الـمـشـاكـل والأعـم
يـبـكـى عـلـى أوطـانـه ويـنـوح فـي نـثـر ونـظـم
فـي أضـلـع تـذكـو جـوى أو ادمع فـي الـوجـد سـجـم
يـقـضـي الـلـيـالـي حـائـراً مـا بـيـن إفـلاس وسـقـم
يـلـقـي حـوادثـهـا بـخـيـل مـن عـزائـمـه ولـجـم
أن أثـقـل الـخـطـب الـمـلـم يـخـف بـالـخـطـب الـمـلـم
أحـشـاؤه وجـفـونـه عـرضٌ لـمـا يـقـذى ويـدمـي
لا تـهـتـدي أقـلامـه مـمـا ألـم بـه لـرقـم
وكـأنـه والـوجـد يـأ خـذ مـنـه فـي لـجـات يـم
وكـأنـه فـي يـومـه فـي جـنـح لـيـل مـد لـهـم

فإذا قررت إلى حما ٥ فررت من همي لهمي

❀ ❀ ❀

أكلتني الأيام لو معداتها تستطيع هضمي
وطوت بها اسم العلى لو كان يطوي مثل اسمي
ويرى كما نجم السما بين الرسوم الغر رسمي
هيهات يخفضني الزما ن وهمتي تسمو وتسمي
أني أشير إلى الألى بخلو على ولا أسمي
أنا للألى لا يأخذون الناس من مدح وذم
ربأت بهم أقلامهم إن خيض في سب وشتم
من كل ندب صادق يوم الوفاء وكل قرم
أنا لست أخشى الخصم أن لم أعط أسيافي لخصمي
أنا حرب كل محارب لا يأخذ الدنيا بسلم
أني ظننت بأنني سأفوز في صبري وكتمي
وزعمت ظني صادقاً فكذبت في ظن وزعمي
يا نفس دهرك مغرض فخذي الأمور به بحزم
تأبى خلالك أن تشي بخلال خصمك أو تنمي
همّي ولا تترددى قضت المعالي أن تهمي
روضي المصاعب واخزمي من لا يراضي بغير خزم
وصلي الهداية أو يعي الضلال من صم وبكم

❀ ❀ ❀

مالي رجعت من الصرا حة في الأمور إلى التعمي
من بعد أعلاني أشير إلى عظائمها وأومي
وأظل أخطي الشاكلا ت من المقاصد حين أرمي

❀ ❀ ❀

قل لليالي الربد خصي ما تشائي أو عمي
أن خص أو أن عم خطـ ـب راعني ناديت عمي

الراجم المتماديات حوا   دثا فينا برجم
والصادع المهج القساة   تقد من فلذات صم
الواسم الجبهات من   غر المعالي خير وسم
المرغم الآناف خطـ   ـماً في المعامع بعد خطم
المسكت الأفواه كـ   ـماً يوم يهدر بعد كم
يا صاحب العزم الذي   أودى شباه بكل عزم
قصر يداً من حادث   طالت إلى تقويض جسمي
شدني عُلا وأهدم يدا   تمتد طامعة بهدمي
جفت أفاويق السحا   ب فجد بسحب منك تهمي
عجل بدينار يرن   بمسمع الدهر الأصم
لا نبتغي فيه متاع العيـ   ـش من أرز ولحم
بل نبتغي خبزاً به   منجاتنا من بطش نهم
أنا نسينا طعمه   فعساك تذكرنا بطعم
لا بل نسينا حجمه   إن قيل هذا أي حجم
عجل وجئنا باليسـ   ـير إذا تعسر كل جم
عجل بأمك فالهلا   ك معجل إن لم تأم
أدرك أخاك فإنه   من همه أمسى كهم
وتلاف جرحاً إن ونيـ   ـت فلا تلافاه برم
واستبقني تبقى على   جمعي شتاتكم ولمي
تمم بناء الفضل فيـ   ـنا واصغ للشكر الأتم
واشف الغليل بقطرة   من ذلك البحر الخضم
بيدي خذ وامدد يدا   يحظى فمي منها بلثم
واسلم فأني منك في   شم من الذروات عصم[1]

(١) مجلة أپولو المصرية العدد ٢ مجلد ٢ اكتوبر ١٩٣٣ ص ٩٤ ـ ٩٨.

في استقبال سرب من الطائرات المصرية لأول مرة

أبشري يا مصر إن الخير آت ... فيك للخير استوت خير نواة
أبشري مصر إذا الغرس زكا ... بحمل البشرى بجني الثمرات
أبشري يا مصر وأخطى للمنى ... فلكم نيلت منى في خطوات
طاولي العيّوق في منزله ... وانزلي فوق الشموس النيرات
اعزمي وامتلكي أجواءها ... إنما الأجواء ملك العزمات
أيقظي النهضة من مرقدها ... واشفعي الصغرى بكبرى النهضات
واتبعيها عزمةً صادقةً ... دونها تنبو مواضي المرهفات
شيديهار طائرات حرة ... واتركي الأمر لحكم الطائرات
واسلكيه في المعالي منهجا ... طالما كان أمين العثرات
لك في الجو بدت أجنحة ... لك فيها للعي خير أداة
لك يا طائر مصر في العلى ... من سماوات العلى خير سماة
مرحباً بالطير رُخما وقطا ... يتهادى في فضاء الرحبات
مرحباً بالطير في الجو علا ... طائراً حام على الماء الفرات
مرحباً بالطير في جوب الفضا ... مرحباً بالطير في جوب الفلاة
بالقطاميات تعلو والقطا ... بالنسور الربد بالشهب البزاة
يا عقاب الجو في ظل المنى ... خذ ضماناً لأمان العاقبات
كم شواهين لنا قد حبست ... وشواهين لنا منطلقات

والشواهين إذا ما أنطلقت لم تكن تنقاد يوماً صاغرات
وكماة الطير إما غضبوا فالرواس الشم ليست راسيات
حبذاً أجنحة خفاقة غير ما حائمة للحادثات
مرحباً بالطير في روحاته مرحباً بالطير عند العزوات
أصلحي ما أفسد الدهر وكم لك يا مصر به من صالحات
جاهدي العدوان أو تسترجعي حقك المغصوب من أيدي البغاة
جاهدي الطغيان أو تنتزعي فيئك المنهوب من أيدي الطغاة
جاهدي أو تبلغي القصد ومن بلغ السطح بغير الدرجات
لا تقولي عقبات واقدمي سربك الأول أولى العقبات
واستدري للذين استشهدوا في سبيل المجد سحب الرحمات

ذكرى سعد

ما بال لون الشرق حائل وجوانب الدنيا زلازل
ما للعيون الداميات كأنها دلح هواطل
ما للقلوب كأنها والوجد يذكيها مشاعل
ما للكنانه والخطو ب طوارق فيها نوازل
تهدا مراجل وحدها وتفيء فائرة المراجل
تستقبل الذكرى وما الذكرى سوى آلام آمل
وتقابل الأشجان والأ شجان أربعه كوامل
في عامها وفت كما أدخرت لأعوام قوابل
ما للقوافل ذاهبا ت للبلى تلو القوافل
لم أنس يوم البين إذ جد النعي فقلت هازل
حتى إذا الشك انجلى أيقنت أن الأمر هائل
وعلمت من طول النوى أن المسافر غير قافل

❀ ❀ ❀

يا مصر سعد قادم أم أن سعدا عنك راحل
في كل حي عند ذكرى سعد احياء حوافل
ذكراك يا سعد الحمى ذكرى الحمى والسعد شامل

ذكـراك ذكـر الـوجـد يـذ   كو في الحشى والوجد قاتل
ذكـرى الـذيـن أجـلـهـم   ذكرى المقيمين الرواحل
ذكـرى الـدمـوع تـفـيـض في   سفح الخدود لها جداول
ذكـرى الـجـوى تـلـو الـجـوى   والناس بينهما ذواهل
ذكـر حـلـول مـصـابـنـا   والدهر مما حل جافل
ذكـرى الـمـضـيـض من الظما   وأبو الحمى في الترب ناهل
ذكـرى الـسـمـاوات الـعـلـى   تنهار في ظلم الجنادل

❀ ❀ ❀

هـل عـنـد سـعـد أنـنـا   من بعده رهن البلابل
يـا سـعـد قـم وانـظـر إلـى   مصر وما في مصر نازل
مـحـن الـبـلاد إذا اسـتـمـر   ت فالهلاك بهن عاجل
لـم تـغـنـهـا الأعـراض عـن   سعد ولم تجد البدائل
هـل يـسـتـقـيـم الـحـال في   بلد وركن المال زائل
الـمـال أشـكـل أمـره   والمال حلال المشاكل
مـن يـشـتـري الـدنـيـا بـمـصـ   ـر باع مصر بلا مقابل
أو تـسـتـطـب جـروح مـصـ   ـر والطبيب لها مقاول
أتـرى تـصـيـب دواءهـا   والداء أعرق في المفاصل

❀ ❀ ❀

لا قـرب الله الأولـى   هضموا الحقوق بكل باطل
وسـطـوا عـلـى أوطـانـنـا   سطو اللصوص على المنازل
إن الـمـهـازل جـمـة   وحيادهم أحدى المهازل
خـلـف الـحـيـاد تـسـتـروا   والقصد لا يخفى لعاقل
لـيـس الـحـيـاد كـمـا أدعـوا   أن الحياد له دلائل
ودلـيـلـهـم فـرسـانـهـم   في كل ميدان جوائل

❀ ❀ ❀

يا أيها الرامي أرح ... رنت سهامك في المقاتل
واستبق قومك للزما ... ن فهم حصونك والمعاقل
وهم وقاك من البلا ... ء وهم فوارسك البواسل
النيل يظمأ أهله ... والعابثون به نواهل
غفل الزمان فأدركوا ... حكماً ولكن غير فاصل
ومن الزمان استدركوا ... حكماً ولكن غير عادل

❁ ❁ ❁

حي الوفود تحل في ... كنف المجاهد والمناضل
وأجر بلادك وأرعها ... وأصخ لشكواها وجامل
تشكو لك الأوطا ... ن كل مكاشح فيها مخاتل
تشكو إليك عصابة ... أفرادها تحصى قلائل
نظرت إليك على النوى ... نظر الظماء إلى المناهل
عهدي بسعد ليس يشـ ... ـغله عن الأوطان شاغل
ما بال سعد لا يجيـ ... ـب وعنه قد كثر التسائل
يا سعد لا يحزنك أنـ ... ـك لا ترد عن المسائل
يا سعد عذرك بين ... لا يزدريه عذل عاذل
قسماً بمن أخلفت فيـ ... ـنا من جهابذة فطاحل
أنت المعز المستجا ... ر وعامل الأذلال عامل
كفل القضية مصطفا ... ك وصحبه النجب الأماثل
أنضى العزيمة أو يعو ... د وليد عزمك وهو كامل
أن الشبات لضامن ... تحقيق ما ترجو وكافل
حمل الأمانة صابرا ... والعبء يهدم كل كاهل
هوذا خليفتك الذي ... فضل الأواخر والأوائل
خير الهداة الدا ... ئبين على الفرائض والنوافل

يـرجـى ويـخـشـى فـي الـورى ... مـا فـيـه مـن بـأس ونـائـل
فـهـو الـشـجـاع بـلا مـنـا ... زع والـكـريـم بـلا مـجـادل

❀ ❀ ❀

خـيـر الـبـلاد ومـا احـتـوت ... بـلـد بـأخـرى لا تـعـادل
زغـلـول خـيـر رجـالـهـا ... وصـفـيـه خـيـر الـعـقـائـل
لـتـعـش صـفـيـه أمـنـا ... أم الـمـكـارم والـفـضـائـل
مـا زال فـيـنـا عـطـفـهـا ... عـطف الرباب على الخمائل
لا بـد مـن يـدوم قـريـ ... ب لـم تـحـل فـيـه الـحـوائـل[1]

---

(١) جريدة كوكب الشرق/ أحمد حافظ عوض بك/ العدد ١٩٠٨ السنة ٧ القاهرة ص ١ صباح الثلاثاء ١١ ربيع الثاني ١٣٥٠/ ٢٥ اغسطس ١٩٣١.

ركب الرئيس

ركابك والجموع الهاتفات ... أماني مصر تحدوها الحداة
لقد جاء البشير فواجهته ... وجوه بالحمى مستبشرات
وما أحلى أحاديث الأماني ... يجيء بها إلى مصر الثقاة
إذا ما جاء مصر مصطفاها ... فساعات المنى مترقبات
تساءلت البلاد فجاوبتها ... ركائب مصطفى والطيبات
كأنك طائر يا ركب فيها ... وأجنحة القلوب مرفرفات
ألا طر بالبلاد إلى مناها ... جناحاك العزيمة والثبات
نفوس الشعب يوم هبطت فيه ... على ذاك السنى متنافسات
إذا أصغيت للآمال منها ... فآمال البلاد محققات
من الأرجاس طهرها بلادا ... تمادت في ثراها الموبقات
وللأوطان شيدها حصونا ... قواعدها خلائق طاهرات
أعد نظراً فإن الأمر جد ... وصمم فالخطوب مصممات
وكيف ينام رب الدار عنها ... وأفواه المطامع فاغرات
لقد حملت على مصر عجاف ... من الأيام جاء بها الجناة
جناة قيل عنهم أين كانوا ... وأيسر ما يقال بهم جناة
دعاواهم إذا ذكرت حقوقاً ... دعيناها دعاوى باطلات
وليس لهم لرد الحق إلاّ ... وعود يوم تصدق كاذبات
فلا نزلت مطامعهم بأرض ... ولا كانت لهم مستعمرات
ذوي قرباك من بيض وسمر ... بك أتصلوا وما انقطعت صلات

تصول بهن ذودا عن حماها — حتى قيل الحوادث صائلات
وعندك في مكافحة الليالي — عزائم لا يفل لها شياة
وحولك كل صنديد كمي — تدين له الصناديد الكماة
وأنت المرهف الماضي إذا ما — نبت يوم الكفاح المرهفات
إذا ضل الصحاب فأنت هاد — صحابته الميامين الهداة
إذا ريع المكان فهم أمان — وإن لسب الزمان فهم رقاة
وكيف يخاف من عنت عرين — وآساد العرائن رابضات
متىٰ اصطدمت بعزمتك الليالي — فأوطان المعالي آمنات
أجرها من يد قد سخرتها — من الأطماع أيد جائرات
فصل بفتى عزمك حيث باهت — بذكراه الورى مصر الفتاة
إذا سددت نحو الدهر سهماً — فأسهمه السديدة طائشات
فما خطرت شدائدها ببالي — إذا كانت على يدك النجاة
ما صدأ الحمى إما سقته — سحائب من بنانك مستقاة
لم تسؤ العشية في بلاد — إذا كفلت مسرتها الغداة

❁ ❁ ❁

زعيم الشرق أين طلعت فيه — نجوم السعد حولك طالعات
زعيم الشرق أنت له دليل — تسير على سناه الحائرات
فعش تسمو العلى بك أين تسمو — وتنمو في حماك الصالحات
ومن يك في الورى خلفاً لسعد — فذاك لكل صالحه نواة
تعهد غرسك المحمود وأبشر — فإن قطوف غرسك دانيات
سماوات العلى دانت لأرض — كمثل المصطفى فيها نبات
يفاجىء إذ يزور وليس بدعا — زيارات السماء مفاجآت
تكافح تحت رايته الأعادي — فوارسنا الأشاوس والمشاة
نجاهد أو تعود لنا المزايا — ونثبت أو تزول المنكرات
يضيق على صفاف النيل ذرعاً — أخو سعدٍ تضيق به السعاة
أقول له وقد ظمأت حشاه — ونيران الجوى مستعرات
إذا ما النيل لا يرويك حرا — فلا بردى روتك ولا الفرات

كـلانـا فـي بـلـيـتـه سـواء　　وإن جـروحـنـا مـتـشـابـهـات
هـنـا وهـنـاك أرهـاق وعـسـف　　هـنـا وهـنـاك زور وأفـتـئـات
فـلا حـريـه يـحـمـي حـمـاهـا　　ولا دسـتـور يـرحـمـه الـقـسـاة
وهـل سـارت بـلاد لـيـس يـبـنـي　　سـيـادتـهـا لـهـا مـنـهـا بـنـاة
سـلـمـت لـمـصـر لا سـلـم الـعـداة　　عـلـيـك سـلام ربـك والـصـلاة
وعـشـت لـهـا لـك الأيـام جـنـد　　ورايـات انـتـصـارك خـافـقـات
ولا بـلـغ الـكـواشـح مـنـك قـصـدا　　ولا ظـفـرت بـبـغـيـتـهـا الـبـغـاة[1]

❁ ❁ ❁

(١) كوكب الشرق/ أحمد حافظ عوض بك/ العدد ١٩٤٦ السنة ٨ ص ١ القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ ج ١ ـ ١٣٥٠/ ١٢ أكتوبر ١٩٣١.

الرئيس الجليل

تهنئه شعرية وطنية بعيد الأضحى المبارك لحضرة صاحبه الدولة

عيد الأضحى ١٣٥٠ هـ

هلع العاتون لما شاهدوا إن سير المصطفى يطرد
هلعوا لما رأوا بدر الهدى ورأوا مصر به تسترشد
سمعوا للحق صوتاً عالياً فاستطاروا فرقاً وارتعدوا
حسبوا الحق خبت جذوته وإذا جذوته تتقد
شيدوا الباطل في عامهم فهوى في ساعة ما شيدوا
ساعة لو أدركوها انتبهوا وتواروا دونها وابتعدوا
ساعة العدل وهت من دونها حجة الظالم والمستند
يا زعيم الشرق أنت العضد أنت في الشرق الهدى والرشد
بك مصر كلها قد رحبت لك مصر كلها تحتشد
أين من سيرك يا بشر الألى أينما حلوا يحل الكمد
أين من مصر ومن أعيانها خفراء أكرهوا أو عُمَدُوا
بك لا بالعيد سوى أمة في أذاها أسرف المقتصد
عيد مصر مصطفاها كلما قيل ضحوا في منى أو عيدوا
عن غد نبعثها تهنئة إنما عيد أمانينا غد

عيدنا الأوفى غدا موعده | يومه الأقرب لا يستبعد
قرب النصر لمصر ودنت | ساعة الفوز وبان الهدهد
كيف لا ينتصر الحق على | باطل طال وأنت المدد
لم تنل مصر المنى ما لم يكن | لك في نيل أمانيها يد
مصر لا تعرف الآك حمى | وعلى غيرك لا تعتمد
مصر لا تعرف غير المصطفى | سند القطرين عاش السند
عش بمصر عيشة راضية | لا عدا عيشك فيها الرغد
حبذا موردك الصافي غدا | وذووك الغر منه وردوا[1]

(١) كوكب الشرق/ أحمد حافظ عوض بك/ العدد ٢٢٠٧ السنة ٨ القاهرة ص ٣ صباح السبت ١٧ ذي الحجة ١٣٥٠/ ٢٣ أبريل ١٩٣٢.

العام الهجري الجديد
إلى أم المصريين

عام خلا وعام ... أترع منه جام
هل علم الشارب ما ... ذا تترك المدام
أما حياة رثة ... الحبال أو حمام
وكم حياة عاد في ... شهادها السمام
ما كل سقم كان للطـ ... ب به المام
لو أسرع العلاج ما ... تفشت الأسقام
رب مجرب نجا ... حيث هوى العلام
ورب كنه غامض ... حارت به الأفهام
حقيقة الإنسان لا ... يدركها البهام
وخبره الأشيا ... خ يكبو دونها الغلام
هل الجروح الداميا ... ت في الورى تلتام؟
وكيف يبرا الجرح لا ... تغبه السهام؟
لا در در راحل ... انكره المقام
فراح في معطسه ... الرغمة والرغام
إن أنا أجملت له ... الذكرى فلا ألام
وكيف أحصى عدداً ... تعوذه الأرقام
ورب ذكرى ألم ... كان بها أيلام

تجسمت فظاعة أحداثه الجسام
شن على الشرق مغا رأ جيشها اللهام
إذ عز بيض يتقي الشر به ولام
هناك آلام لنا وههنا آلام
تذاق خسفا صينه وهذه تسام
وكم جنى من شؤمه العراق والشآم
لدن خوت وأقفرت من أسدها الآجام
وباتت الأفغان فو ضى مالها نظام
لدن هوى عن عرشه الملك الهمام
لم ترم نصرانية عنه ولا أسلام
وما وقت آلهه الحسن ولا الأصنام
هوى فلا زئيره حمى ولا البغام
ولا السهول أتسعت له ولا الآكام
وبات كالعصفور في محنته الضرغام
كذاك عقبى شطط جاءت به الأيام
من ضل في أقدامه لم ينجه انهزام
من عجل انتقامه عاجله انتقام
قد أمن العثار من رانت به الأقدام
ونال كل مطلب لو صحت الأحلام
مصائب لا يستطيع حملها شمام
لتلك إحدى شيم الدنيا فلا استعظام

❀ ❀ ❀

ولا تسل في مصر عما فعل الخصام
جنى على البلاد ما لم يجنه ظلاّم
قسا فما كفكف مـ ن قسوته أسترحام
كم وسوست وساوس وأوهمت أوهام
وعطلت صحائف وحطمت أقلام

وكم مشى إلى البريء بيننا أتهام
سطو على الأحكام حتى ضجت الأحكام
قد مرضت عقولهم وصحت الأجسام
بعداً لقوم أنكرتهم بيننا الأقوام
قد استقام أمرهم فينا لو استقاموا
للغاصبين طأطأت رؤوسهم والهام
ونكست أعلامهم إذ ترفع الأعلام
وأُعطي القياد من راق له الأرغام

❀ ❀ ❀

عام على انقاض عام في الورى يقام
كلاهما وليد حال ما لها دوام
هذا له رضاعة وذا له فطام
وكل حي زائل يحمد أو يذام

❀ ❀ ❀

رمناك يا عام فهل أنت كما يرام
عساك حامل لنا ما يحمل الغمام
هل نهله لذي جوى لحال به الأوام
وليس يدري آمل سماؤه تغام
وروضه يشم أو بارقه يشام
أغيمه أخو ندا أم غيمه جهام
أنك أدرى بالذي تكنه الأرحام
هل السلام في ثنا ياك أم الأوغام
هل أنت خلف في مثا ر النقع أم قدام
هل ينتهي الغد من الخطوب والتوام
أظفار خطب نشبت أنت لها قلام
قد أسفرت شمس الضحى واحتجب الظلام
وبان ما خلف الدجى إذ انجلى القتام

فـمـا لـسـر بـعـد مـا فـشـئ الـسـنـى انـكـتـام
هـل صـدقـت ظـنـونـنـا أم كـــل ذا كـــلام
هـل حـفـظ الـعـهـد لـهـم أم رُعـى الـذمـام
كـم أقـسـمـو لـنـا فـمـا بـرت لـهـم أقـسـام
لـيـس لـهـم بـوعـدهـم إن وعـدوا الـتـزام
كـم ظـلـمـوا واضـطـهـدوا وعـنـفـوا ولامـوا
هـل تـثـق الـنـفـس بـمـن حـبـالـه رِمـام
كـيـف يـشـاد الـصـرح والـمـشـيـد الـهـدام
هـل سـاد شـعـب لـم يـكـن فـي كـفـه الـزمـام
ولـم يـكـن طـوع يـديـه الـنـقـض والأبـرام
مـن لـم يـكـن لـنـفـسـه مـن خـلـق عـصـام
مـلا الـحـديـث صـالـح فـيـه ولا الـقـدام
مـن أخـذ الأهـبـة لا يـأخـذه اصـطـدام

❀ ❀ ❀

قـل لـلـذيـن طـا ولـوا بـغـربـهـم وسـامـوا
الـشـرق لا يـعـوذه الـثـبـات والأقـدام
مـا ضـرهـم لـو أوجـذوا مـا قـصـدوا وراحـوا
واخـتـصـمـوا إلـى الـيـرا ع أن يـنـك اخـتـصـام
قـد يـفـعـل الـيـراع مـا لا يـفـعـل الـصـمـصـام
دعـنـي أبـوح بـالـجـوى ولـلـجـوى احـتـدام
هـذا أبـي وهـذه آمـالـه الـعـظـام
سـيـان أضـحـى عـنـده الأصـبـاح والأظـلام
لـولا الـسـقـام مـا دري بـهـمـه كـتـام
مـا هـمـه أن يـذهـب عـا م ويـجـيء عـام
بـل هـمـه أن يـشـمـل الأرض بـه الـسـلام
وأن يـكـون فـي مـكـا ن الـخـلـف الـوئـام

❀ ❀ ❀

نحن بنو الموت فلا خوف ولا أحجام
لا سلمت أحلامنا أو يسلم الأنام

❁ ❁ ❁

يا أهل مصر اغتنموا أن العلى اغتنام
يا أهل مصر أيقظوا العزم ولا تناموا
والغارب الأعلى لمن جاهد والسنام
والمجد مقسوم لمن جد به اعتزام
والسبق لا يحرزه في الناس من ينام
الرأي ليس نافعاً وعزمنا كهام
بالرأي والعم معاً تستأصل الأجرام
بالله لا تحاسبوا من شفه الغرام
واعفوا إذا قدرتم فأنتم الكرام
وصفحكم عمن جنى عليكم انتقام
أنتم على صدوركم من شرف وسام
وهم على أنوفهم من ضعة خزام
وليكن الأمر له الأتقان والأحكام
تجاهل العارف وهو الفطن الفهام
مسائلاً وللأسى بقلبه اضطرام
هل كمل استقلالنا أم نقص التمام
وهل تسود أمة ساد بها انقسام

❁ ❁ ❁

دعتكم أوطانكم فناضلوا وحاموا
سيروا أمام السائرين فالمنى أمام
لا تقربوا النهج الذي سار به اللئام
سيروا بنا واقتحموا حتى يك اقتحام
هل فاز ذو تردد شيمته الأحجام
حياته مستعبدا موت له زؤام

ولا تهيموا في الورى   حيث الغواة هاموا
وانتخبوا الأكفاء لا   ما تصل الأرحام
واستخدموا الصالح لا   يفسده استخدام
واقتسموا الحكم إذا   ما أنصف اقتسام

❀ ❀ ❀

قد أعجبته صورة   صورها العوام
لم يحسن الوجه ولم   يعتدل القوام
أعلنه الحكم فلا   لبس ولا ابهام
أوردنا تمام ما   ءِ ورده جمام

❀ ❀ ❀

أنا الرباب في الورى   لقولي انسجام
جواد فكري مطلق   ليس له لجام
قريحتي سيالة   وفكرتي سجام
أهدي إلى أمي ولا   ءِ كله احترام
وإن عندي حبها   فريضة لزام
ولي كما انضمت لها   بناتها انضمام
فريدة لها بأجياد   العلى انتظام
فما حكاها ناثر   عقداً ولا نظّام

❀ ❀ ❀

صاحبه العصمة لي   بحبك اعتصام
بنتك ما تكرم بنـ   ـت حقها الأكرام
لكل ذي همامة   بشأنها اهتمام
يهنيك عام لهجت   بذكره الأعوام
طيبي وقري وأهنأي   لافاتك المرام
بنوك أنت ذكرهم   ما قعدوا وقاموا
في كل حي منهمُ   صب ومستهام

يصبو إلى القحام لا يفوقه القحام

كل له مقامه ما عظم المقام

هي العلى فأستلمي حق لك استلام

اجلال مصر لك طول الدهر والأعظام

والنيل دائب على شكرك والأهرام

فخار مصر في الورى زغلول والأمام

بناء سعد في العلى أنتِ له دعام

بنوه ما خامرهم يأس ولا استسلام

من كل ذي عزم نبا من دونه الحسام

علمنا أباؤك المشهود والشمام

أن العلي حصه من جد به اعتزام

لقد أقاموا حيثما شوس الحمر أقاموا

قد أخلصوا ولاءهم دمت لهم وداموا

طودك ليس يرتقي بحرك لا يعام

إن عبس الدهر تجلى ثغرك البسام

مرامنا رضاك لا الجاه ولا الحطام

ولاؤنا وقف على شخصك والسلام(١)

---

(١) الأهرام ص ١ عدد ١٦٠٠٣ القاهرة ١٣/٦/١٩٢٩/٦ محرم ١٣٤٨ هـ.

تحية قدوم رئيس الوفد

يومك المشهود لا يوم منا ... لبست مصر به ثوب الهنا
يا منى مصر ويا حاجتها ... إبْ إلى الحاجة منها والمنى
يوم مصر يوم آب المصطفى ... جعلته مصر فألا حسنا
وقفت مصر له في يومها ... وقفة الحجاج في يوم منى
وقفت مصر تؤدي فرضها ... إذ قضى الفرض لها والسننا
إذ جموع الشعب فيها احتشدت ... هاتفات لا فرادى وثنى
لم تحل بينها بيض الظبىٰ ... يوم تلقاها ولا سمر القنا
جمعت روحاً إذا ما فرقت ... سطوات العسف منها بدنا
أينما سار به الركب علا ... من هتاف ما يصم الأذنا
حاولوا أن يطفئوا نور الهدى ... بعدما عم القرى والمدنا
حاولوا أن يعتني الشعب بهم ... وبغير المصطفى لا يعتني
عبثا ما حاولوه عبثا ... قد عنا الشعب بهم ثم عنا
لا يضير الشمس من كاد لها ... وتحداها سناء وسنى
طلعة البدر أقرت أعينا ... بسنا البدر وأقذت أعينا
يا سنى البدر أنرها سبلا ... واهد من ضل الطريق السننا
حرموها نيلها الأعلى وقد ... حبسوا الماء وقالو خُزنا
مصر لا تعرف غير المصطفى ... يوم لا مؤتمن مؤتمنا
من يباريه أميناً صادقاً ... من يباريه خطيباً لَسِنَا
سعيه المشكور لأسعى الألى ... سعيهم جر علينا المحنا

فهو الساهر في أوطاننا   وهو السائر للمجد بنا

❀ ❀ ❀

يا زعيم الشرق ذد عن حوضه   وقه كيد الليالي وقِنا
يا زعيم الشرق قدها نهضة   تنقذ الشرق وتسدى المننا
أن تكن قائدنا نحو العلى   فالأماني نيلها قد ضمنا
اسمك المحبوب أضحى في الحمى   بأماني الحمى مقترنا
لك بابن الثغر عون وكفى   وسلاح قاطع بابن قنا
خذ بهذا السيف يمضي حده   وبذاك السمهري اللدنا
حاسب الغرب على أفعاله   والزم الظلم بما الزمنا
ودع الحائد يكمي سره   قد بدا من سره ما كمنا
ليس يخشى الظلم إلاّ قوة   تدعم الظهر إذا ما وهنا
إنما القوة منا سرعة   تتلافى الأمر والوهن ونا
أذكري مصر ضحاياك الألى   أرخصوا الروح وأغلوا الوطنا
وصلي مصر ضحاياك الألى   هجروا الدار وعافوا السكنا
واسألي الرحمن وأستسقى السما   تسقهم من رحمات مزنا
جاهدي يا مصر أو تسترجعي   حقك المهضوم والعيش هنا

❀ ❀ ❀

أنت يا ذخر البلاد المصطفى   أنت من أخلفه سعد لنا
أظلمت أيامنا يا مصطفى   أرنا أيام سعد أرنا
وأجرنا من زمان جائر   وأعد في مصر ذاك الزمنا
عش لمصر وأبق فيها جبلا   كل من يأوي إليه أمنا
وأدرك الغاية دينا ودنى   أنت للدين عماد والدنى
ولتعش مصر لمصر وليعش   أهل مصر الأوفياء الأُمنا
ليت لا كان بمصر ظالم   ظالما مصر ولا جان جنى
أيها القاري عذرا فالأسى   شغل المقول منى والضنى
حبذاً لو كنت في حربه   ورفعت القول حرا علنا
إن مدحي وثنائي دون من   هو فوق المدح مني والثنا

لا رعى الله الذين احتفروا قبر مصر واعدوا الكفنا
فات من يحتفر القبر لها حافر الحفرة فيها دفنا
كلهم خطب عليها جلل من هنا ينصب فيها وهنا
ضيعوها درة مكنونة واقتنوا الألقاب فيها والكنى
زعموا أن قواها وهنت كذبوا أن القوى لن تهنا
أترى جمرتها قد خمدت أم ترى برح جواها سكنا
قسمو راحتهم ما بينهم وقسمنا جهدنا ما بيننا
سنواليه جهاداً صادقاً وجهوداً ليس تدري ما ألونا
كلنا ليث نضال أروع ليس حنا في الورى من جبنا
ودليل النصر فينا قمر وسع السهل سنى والحزنا
قمر بين الورى أنواره يكشف الهم ويجلي الحزنا
قد جلى برح الأسى حتى انجلى وثنى عنا الجوى حتى انثنى
وإذا ما الخطب ألقى رحله صد ذاك الخطب عنا وثنى
لا تهي أركاننا ما برحت قوة العزم وما دمت لنا
وبنو الأهرام يبنون العلى وبنات النيل يدعمن البنا
أثمر الغرس الذي تغرسه فاسقه قطر التهاني والسقنا
فلقد آن لنا أن نجتني ولقد آن له أن يُجتنى(١)

(١) كوكب الشرق/ أحمد حافظ عوض بك/ العدد ٢١٨٩ السنة ٩ القاهرة ص ١ صباح الأحد ١٦ ج ٢ ١٣٥١/١٦ اكتوبر ١٩٣٢.

العام الهجري الجديد ١٣٥٣

طلعت يا حول فأطلعنا على الحال ... ماذا وراءك من حول وأحوال
طلعت يا حول والأوطان في محن ... وفي هموم نذيرات بزلزال
قد كان مرباعها يزهو بها خصباً ... فعاد أسوان في جدب وأمحال
وكان ري صداها عند أنهرها ... فعاد عند سراب القفر والآل
يا طالعاً ونفوس الشعب في جزع ... هل في طلوعك ما يسلو به السالي
هل أنت تعلم ما تأتي الغداة به ... أني لأرقب أمراً فيك ذا بال
يا حول كن حائلاً ما بين أنفسنا ... وبين نار جوى تطغى وبلبال
أني أحييك حولا سر مطلعه ... اصطفيك لآلامي وآمالي
إذا نظرت إلى الأحوال ممتحناً ... فلم تجد غير ألوان وأشكال
هذا يجد وذا يبلى بها عجلا ... ولا الجديد بمجديها ولا البالي
قد جئت يا حول والأحوال ذاهبة ... فكن جواداً أتى في أثر بخال
هلال شهرك والأيام تنقله ... بين البرية من فال إلى فال
نور يمت إلى العلياء مطلعه ... ومطلع البدر من عال إلى عال
بل ذاك رمز لتمثال لنا حسنا ... فلترتقب مصر منه حسن تمثال
أقبل مع الخير فالأيام جازية ... خيراً بخير وأقبالاً بإقبال
وخذ لماضيك من حال ظفرت به ... فإن ماضيك في الدنيا من الحال
دعني أفصل أقوالي وأجملها ... فأنت محور تفصيلي وأجمالي
قل للكنانة مثل الطود ثابتة ... وَالى جهادك من دون العلى وَالي
أيد بها من غدا يقضي الفروض لها ... ولا يقضي المدى في القيل والقال

اجعل لها سبل العلياء ساطعة ... تسر على ضوئها في كل أشكال
ولا تقل أن حال اليوم دائمة ... والحال لم تستقم يوماً على حال
الدار موحشة حيناً وآهلة ... والركب ما بين مظعان ومحلال
يا حول قف في ظلال المجد مورقة ... لا في ظلال وريق البان والضال
عند الزعيم أقم حيث الزعيم سمت ... به الزعامة في حل وترحال
إن ندن منه وخير القول أصدقه ... ألفيت أصدق قوّال وفعّال
وقل له يا زعيم الشرق حيدتهم ... أجيال تمضي عليها بعد أجيال
من كان لا ينتهي حتى يكال له ... بذلك الكيل مكيالاً بمكيال
يا ويح من ظلموا الأوطان إذ حكموا ... وأبطلوا الحق فيها كل إبطال
قالو نقيكم ونجلوا عن دياركم ... مضى الزمان ولا واق ولا جال
قد أسرفوا في اقتناء المال واقتصدوا ... واسرفوا في ضياع المجد والمال
الحرص داء دفين لا دواء له ... ولا رجاء لمضناه بأبلال
وشهوة الحكم قد تودي بصاحبها ... كشهوة الأكل كم أودت بأكال
لا حقق الله للطماع مأربه ... ولا رعى عزه إلاّ بأذلال
حيادهم لم تجز في الشعب حيلته ... حتى على سذج في الشعب أطفال
أعاذه الله من ظلم يحيق به ... ومن ظلام بليل الهم صوال
الظلم جرعه أقسى مرارته ... وكان ري صداه صفو جريال
مالي أرى سائر البلدان مطلقة ... ومصر ما بين أصفاد وأغلال
مالي أرى كل قلب هادئاً جذلاً ... وقلب مصر بنيران الجوى صال
لا يستوي والليالي في طبائعها ... قلب يفيض وقلب من جوى خال
يا مصر عهدك والأعراض زائلة ... عهد الشبيبة لا يمحىٰ من البال
فمن أغاريد ميل الهام من طرب ... إلى غرانيق مثل الزهر أروال
هات الرضى عن ضحاياك التي سلفت ... من أنفس هلكت ظلماً وأموال
وهاك كل فؤاد أن يمل كلفاً ... إلى سوى حب مصر غير ميّال
يهنيك أن المنى يدنو إليك بها ... حماتك اليوم من أسد وأشبال
فمن بنين كأمثال الجبال قوىً ... ومن بنات كزهر الروض أمثال
آليت أن أفتدي الأوطان عاملة ... وأن تكون لمصر كل أعمالي
أرخصت نفسي ومالي دون بغيتها ... وفي سبيل مناها يرخص الغالي

إن لم أكن وكرام الناس طوع يدي صنائعي وعظام الناس عمالي
فلست من علم في الناس مشتهر ولست من أسد في البأس رئبال

❀ ❀ ❀

أنى اسآئل مصرو هي عالمة أعضاء وفدك أم آساد أغيال
لم يسألو أن مضوا في الحق أو رجعوا عن عذر عاذرة أو عذل عذال
كأنهم وعيون الدهر ترمقهم أجبال شدت ترواسيها بأجبال
وكم تغير أمر في البلاد وما تغيروا فيه من حال إلى حال
مصر دعت مصطفاها أن يمد لها عمر الحياة بأعمار وآجال
أجله مصطفى مصر وأعظمه وليس يعدوه أعظامي وأجلالي
زعيم مصر أجرها من بليتها وجر للفخر فيها فضل أذيال
أنت السماء لمصر وهي عاطشة من ذلك القطر بادرها بهطال
وعش وأنت عظيم القدر منتقلاً في أفق مجدك من عال إلى عال[1]

---

(١) كوكب الشرق/ أحمد حافظ عوض بك/ العدد ٢٣٨٥ القاهرة مساء السبت ١١ محرم ١٣٥٢/٦ مارس ١٩٣٣.

في تحية أم المصريين

هاك روحي ثم البشرى وهات ... خير ما تصبو إليه الآملات
هاك ما يفتر عن صبح المنى ... وينيل النفس أسمى الرغبات
أيها البرق الذي مقوله ... ناطق بالبشر في كل اللغات
نث في السهل وفي الحزن وما ... بين هذين حديث الصالحات
عاودت شمس المعالي أفقها ... وتجلت في سماء المكرمات
في ركاب الطهر سارت قبلة ... أن تقم آمال مصر للصلاة
وقفت مصر إلى الركب كما ... وقفت حجاجها في عرفات
يوم مصر ذاك أم يوم منى ... ألرمي الزهر أم للجمرات
تنحني مصر ولو جاز لها ... لأشارت نحوها بالسجدات
أي شمس أشرقت عن كثب ... في العشيات سناها والغداة
في جلال الشمس عزا وعلا ... في جمال البدر بين النيرات
في جبين الدهر زغلوليه ... أينما حلت تحل البركات
من رأى شمس الضحى ماشية ... خجلاً منها الضحى مشى القطاة
قدمت تلبس من عافية ... كفلت تحقيق آمال العفاة
مقدم الطهر أم الغيث همي ... في ربى مصر لاحياء الموات
ركب مصر فيه مصر ركبت ... أم حمى مصر محوط بالجماة
ظمئت مصر وفي هودجها ... كل ما في نيلها من نهلات
أيها الأقوام طيبوا وأبشروا ... وارقبوا اليوم قدوم الطيبات
طأطئوا هاماتكم واستقبلوا ... أمكم فهي فخار الأمهات

احفلوا بالشمس أما طلعت ... وأقيموا لسناها الحفلات
شمس مصر أشرقت من غربها ... فتلاشت في سناها الظلمات
أي شمس في القرى أن بزغت ... واجهوا أنوارها بالصلوات
فرحت مصر بلقيا شمسها ... فرح الروض بلقيا الغاديات
لك يا شمس المعالي أنعم ... بين ألوان البرايا شائعات
لك في البحر وفي البر سنا ... تهتدي فيه النفوس الحائرات
هرع الشعب إلى استقبالها ... وبنو الشعب الأدلاء الهداة
أمة أنت لها أم مشت ... في حجال الفخر فوق الجبهات
جعل الناس سنى غرتها ... خير فال لانفراج الأزمات
علميها كيف تعلو همم ... علميها كيف تمضي العزمات
علميها للجزم والصبر معاً ... فطريق المجد حزم وأناة
اغرسي غرسك فيها وابشري ... آن يوم فيه تجني الثمرات
أقطفي اليانع من أثمارها ... فقطوف المجد فيه دانيات
اقرؤا في سفر سعد آية ... تقرأوا آيات فضل بيّنات
نفس سعد هي ما بينهما ... صله لكنها فوق الصلات
هرع الشعب رجالاً سادة ... للقاها ونساء سيدات
نيلكم عاد إليكم فانهلوا ... من غير شيم الورد فرات
من يكن للناس فالناس له ... في الأقامات له في الرحلات
أيها الحساد موتوا كمدا ... أن أيامكم محتضرات
من يشا أن يغفر الله له ... فليتب عن ذنبه قبل الممات
لا يحط العذر من صاحبه ... حسد الحاسد أو وشي الوشاة
أيها الطاغون لا تبغوا السما ... بَعُد النجم على أيدي الطغاة
لا تمنوا النفس في نيل علا ... دون ما تبغونه فرط القناة
جربوا أيديكُمُ أن تهدموا ... الوفد في هدم الجبال الراسيات
أظلموا ما شئتموا أن تظلموا ... وافعلوا في الشعب تلك الفعلات
ليس بعد الظلم إلاّ ندم ... ليس يجدي وتوالي حسرات
عِبر الأيام تتلو عبراً ... وعظات الدهر في أثر عظات
أخرجتهم مصر من أبنائها ... ليس من أبنائها القوم الجناة

ليس من أبنائها من عقها ... فرماها بين أيدي المهلكات
إن من لم تعله أوطانه ... عاش في ظل النفوس الصاغرات
والذي لم يعنه استقلالها ... في الورى ليس له حق الحياة
ليس منها من على الحق اعتدوا ... وعلى الأوطان كانوا نكبات
ليس منها من إذا ما ابتهجت ... في سبيل المجد كانوا عقبات
عثرت أطماعهم فاختبطوا ... في ضلال لالعاً للعثرات
ويل أوطان العلى من نفر ... أغضبوا الله وأرضوا الشهوات
أيه يا مصر متى تطلبي ... فزت بالمجد بتلك الطلبات
أرضك الفيحاء فيها كل ما ... في سموات المعالي من سمات
شمس مجدك سطعت أنوارها ... ونجوم في تراها طالعات
لا تخافي الشر هاجته يد ... رب شر كان للخير نواة
لك من وفدك آساد شرىً ... لهموا في كل غاب زأرات
لك عند الخطب منه لامة ... فاضه محكمة النسج اضاة
خلفاء بعد سعد سكنوا ... غاب سعد يرقبون الحركات
أن ينم سعد فعين المصطفى ... سهرت ترقب سير الحادثات
يا بنات النيل يا أبناءه ... أنتموا خير بنين وبنات
هذه أم العلا امكم ... نزلت منكم مكان المهجات
هي في عين الموالي قرة ... وبعين الكاشح الوغد قذاة
حاربوا تحت لواها واجتهدوا ... إن يوم النصر لا شبهة آت
حاربوا الظلم ولا تستيئسوا ... إنما النصر على الأبواب بات

❀ ❀ ❀

رسول الخير رددها لنا ... خير بشرى في جميع الطبقات
هاتها حرية قد نبتت ... بين لحمي ودمي خير نبات
اعطني مصر إلى سودانها ... قربت يا مصر ساعات النجاة
ولمن قد بعدت عنه المنى ... إن ساعات المنى مقتربات[1]

(١) المساء/ أحمد محرم/ العدد ٥٥ السنة ١ ص ١ مساء يوم الاثنين ١٩ ج ٢ ١٣٤٩/ ١٠ نوفمبر ١٩٣٠.

تحية رأيس

بك أضحى عيدها الأضحى قريراً وغدا روض أمانيها نضيرا
فإذا ما العيد قرت عينه قرت الأنفس عينا وضميرا
طلعت أو أطلعت أنواره في سما مصر شموساً وبدورا
فهي دون المصطفى منزلة ظهرت بل دونه كانت ظهورا
جاءه العيد بشيراً أن يجيء فيه بالحق بشيراً ونذيرا
كلما جاء به مغتبطاً رده الفضل حسوداً وغيورا
فزعوا لما رأوا بدر الهدى وسناه يملأ الآفاق نورا
هالهم من أمرهم ما هالهم كلما أزمع في الشعب مسيرا
لتحل قوتهم مهما تحل ولتصر كيف أرادت أن تصيرا
لم تحل ما بين مصر والسنى يسع الشعب كبيراً وصغيرا
أيحول الظلم ما بين السما وجناح الظلم قد بات كسيرا
حاربوا مصر بها إذ حاربوا عزمها المرهف والعقل الكبيرا
حاربوا همتها العليا بها حاربوا حرفاً وعزماً لن يخورا
ليتهم قد حاربوا إذ حاربوا وجلوا عنها وأعطوها اليسيرا
حاربوا المجد أثيثاً والعلا حاربوا الأخلاق والعلم الغزيرا
قل لمن أرهقه الظلم أرتقب أن عمر الظلم قد بات قصيرا

❀ ❀ ❀

يا زعيم الشرق قدها نهضة تملأ الكون شعاراً وشعورا
هل ترى والشرق في محنته لزعيم الشرق في الشرق نظيرا

حمل الأعباء لم يعبأ بها … ومن الأعباء ما كان ثبيرا
قائد الشرق أجره من يد … أصبحت في الشرق شراً مستطيرا
كم تداركت بمصر مجدها … وحميت العز فيها أن يغوزا
ولكم خاطرت من دون العلى … وتلافيت لها الأمر الخطيرا
مصر لا تسأل عمن ساءها … حسنت عقباه أم ساء مصيرا
عيد مصر مصطفاها كلما … قيل عيد يملأ الدنيا حبورا
ليس يهنيها سوى حرية … تشمل الناس إناثاً وذكورا
أينما سارت سرى برق الحمى … يحمل الأنباء مسكاً وعبيرا
هاكها تهنئة صادقة … لم تكن قد لفقت أفكا وزورا

❀ ❀ ❀

لا رعى الله ولا أرضى الأُلى … ملأوا الأرض اعتداء وغرورا
جاوزت أطماعهم أقدارها … وتعدى ظلمهم حتى القبورا
عجنوا آراءهم فاختمرت … غير أن الخبز قد عاد فطيرا
طبخوا أغراضهم في مطبخ … أحرقت نيرانه حتى القدورا

❀ ❀ ❀

يا بني مصر رفعتم شأنها … يا بنات النيل زنتن العصورا
هذه الأهرام فليفخر بها … كل من كان على الدهر فخورا
جاهدوا أو تدركوا غاياتكم … أو تروا العز الى النيل مشيرا
وسلوهم كيف كانوا ومتى … كانت الأعجاز في الناس صدورا
وسلوا الأيام عنا تعلموا … أينا بالحكم قد كان جديرا
سجلوا المجد وأشتات العلى … كلمات طيبات وسطورا
كلمات نسقت أحرفها … فتلوناها ورودا وزهورا

❀ ❀ ❀

لست بنت الشاعر الفذ إذا … لم أحاك الشاعر الفذ شعورا
وأساجله جلالاً وعلا … وأماثله نظيماً ونثورا
ذاك من أقعده السقم وكم … أقعد السقم عظيماً وأميرا

بـات لا يـرجـو سـوى أبـلالـه		رب سـقـم بـرؤه كـان عـسـيـرا
طـالـمـا وفـىٰ حـقـوقـاً وجـبـت		نـافـلات وفـروضـاً ونـذورا
لـيـس يـنـسـى عـهـده في جـنـة		روضـهـا يـنـبـت ولـدانـا وحـورا
فـإذا مـا صـال صـالـت أمـة		وإذا مـا قـال أنـسـاهـا جـريـرا
لـم يـكـن شـرواه في ظـل الـصـبـا		إن دعـا الـغـيـب ألـقـاهـم حـضـورا
لـم أجـد مـثـل أبـي فـي عـزمـه		أسـداً تـعـنـو لـه الأسـد هـصـورا
وإذا مـا كـاهـل الـدهـر وهـىٰ		خـف بـالـعـبء حـمـولاً وصـبـورا
كـلـمـا زاد اخـتـبـاراً عـلـمـه		زاده الـعـلـم مـن الـنـاس نـفـورا
لا يـرى يـمـشـي عـلـيـهـا مـرحـاً		لا ولا يـخـتـال فـي الـمـشـي غـرورا
وإذا اشـتـد بـه الـكـرب يـرى		راجـعـاً لله حـمـاداً شـكـورا

❁ ❁ ❁

أيـهـا الـبـدر أقـمـت مـا بـيـنـنـا		أو فـسـر مـا شـئـت يـومـاً أن تـسـيـرا
قـد خـبـرنـاك سـنـاء وسـنـى		واصـطـفـيـنـاك وَلِـيـاً ونـصـيـرا
حـيـث ردنـا روضـك الـرطـب نـمـا		ووردنـا حـوضـك الـعـذب نـمـيـرا
كـم دعـونـا والـعـدى فـي صـمـم		فـشـهـدنـاك سـمـيـعـاً وبـصـيـرا
وطـلـبـنـا الـخـيـر مـن مـعـدنـه		مـوجـدنـا عـنـدك الـخـيـر الـكـثـيـرا
ضـمـن الـخـيـر لـمـصـر غـدهـا		فـانـتـضـى الـيـوم لـهـا الـعـزم الـطـريـرا
أرهـا ثـغـر غـد مـبـتـسـمـاً		وقـهـا يـومـاً عـبـوسـاً قـمـطـريـرا
وردت أم صـدرت أن الـرضـى		لـيـس يـعـدوك ورودًا وصـدورا
دمـت يـا عـز الـحـمـى دون الـحـمـى		لـم تـزل تـجـهـد أو تـجـلـي الـمـغـيـرا(١)

(١) كوكب الشرق أحمد حافظ عوض بك/ العدد ٢٣٦٤ السنة السابعة القاهرة ص ١ مساء الجمعة ١٩ ذي الحجة ١٣٥١/ ٤ ابريل ١٩٣٣.

تحية الوزارة والدستور

يا حبذا طيب الورود ... بين الأزاهر والورود
يا حبذا برد الهنا ... يضفو له الورف البرود
يا حبذا يوم قيا ... م حوله البشرى قعود
كل الجهات بشائر ... تشئوا البرود بها البريد
وكأن نجدا في الكنا ... نة والكنانة في زرود
ولرب سمع قد رأى ... ما لا يرى البصر الحديد
يوم يهز لنا القلو ... ب جماله هز القدود
ظن الزمان به وجا ... ء لنا الزمان به يجود
أو كان يوم لقائه ... أم يوم بين عداه عيد
لا عدت يا عهد الألى ... لم يحفظوا حرم العهود
لم أنسهم متآمرين ... على مواريث الجدود
وثبوا على حكم البلا ... د وثوب طاغية كنود
قد أطلقوا أهواءهم ... والشعب يرسف في القيود
جهلوا حدود فعالهم ... وتجاوزوا كل الحدود
ولرب فرد همه ... في أن يكون هو الفريد
أدنى إليه زمرة ... من كل شيطان مريد
لم تعنه أوطانه ... فيما أراد وما يريد
يحيا بها ليميتها ... ويضرها كي يستفيد
انحى على دستورها ... وجنى على ذاك الوليد

وقضى على تلك الحيا ... ة حياة طفل في المهود
حسب المعالي طفرة ... والنجح في السير الوئيد
غلط الحساب فلم يدم ... حكم إلى الأبد الأبيد
لو أدركوا نور الهدى ... وارتهم ظلم اللحود
دعهم كما واش وشى ... دعهم كما حقد الحقود
ماذا لعمر أبي يقو ... ل الذئب في أسد الأسود
باءوا بخسراناتهم ... إذ سوق كيدهم كسود
عرفت بصناعتهم فما ... عند الضغائن من جديد
وتكشفت سوآتهم ... ما في الفضائح من مزيد
نام الغرور بهم فلم ... يستيقظوا بعد الهجود
من بعد ما وسعوا الفضا ... يجثون في كسر الوصيد
ما فيهمُ إلاّ شريد ... يستريح إلى شريد
خمدوا وفي أضلاعهم ... نار الضغائن في وقود
جحدوا النهار فأصبحوا ... هذا يدس وذا يكيد
برح الخفاء فلا محيـ ... ص عن الضياء ولا محيد
بالله لا تتنصلوا ... أن التنصل لا يفيد
أنكرتمُ طغيانكم ... والله والدنيا شهود
ونسيتمُ تلك الفعا ... ل وبيضها في الناس سود
لم تغسلوا سُباتكم ... أو تغسلوا صدأ الحديد
قصر الدبارة عالم ... من ذاك سخّره لويد
وحكومة العمال تعد ... م ما تعمده العميد
عزلته حتى لم يعد ... لبقائه من مستعيد
قد راح روحه خائب ... وغدا كما يغدو الطريد

❀ ❀ ❀

ذبحوك يا دستور مصر ... من الوريد إلى الوريد
قد أعدموك فهالهم ... عود العديم إلى الوجود
ذهبوا كما ذهب الذميم ... فعد لنا العود الحميد

رشقوك بالنبل الذي رشق الكواكب من بعيد
ماذا يقول المجرمو ن إذا دنا يوم الوعيد
والله بدلهم جلو داً كلما نضحت جلود

❁ ❁ ❁

دار النيابة فتحت أبوابها أيدي الجهود
نواب مصر فوزكم في كل دائرة مجيد
ما بعد فوزكمُ المبين زيادة للمستزيد
أنا بنو وطن له عند العلىٰ عهد أكيد
المسلمون به سوا ء والنصارى واليهود
أديانِنا أوطاننا والله أولى بالعبيد
شوس إذا ما أقدموا لبسوا القلوب على الجلود
وإذا تنكرت الخطو ب فكلنا حام يذود
وفد الكنانة شيدوا فهو ركنكم المشيد
الوفد طود ثابت لم يوهه الجهد الجهيد
الوفد بحر زاخر وثمين كنز لا يبيد
عودوا إلى دستوركم دستوركم حصن وطيد
واسعوا إلى استقلال مصر من المزيد إلى المزيد
أنتم قصيدي في الثنا ء ومصطفى بيت القصيد
لك مصطفى عند القلو ب صفاؤها رغم الحسود
لله يومك في الصعيد لله مقدمك السعيد
لله فضلك في الورى في كل آونة يزيد
لله ركبك في المدائن والوفود تلي الوفود
هتف البشير فجاوبو ه بالهتاف وبالنشيد
وكأن عاصفة الهتا ف زرت بقاصفة الرعود
هرعوا إليك وشوقهم شوق العطاش إلى الورود
وصبوا إليك وكلهم بهوى العلىٰ صب عميد
وتجمعوا من سيد طرب الفؤاد ومن مسود

مِلأ الفجاج غطارف ... حيوا رئيسهم وصيد
منظومه شيب القوى ... وشبابها نظم العقود
أرأيت كيف تدفقوا ... مثل السيول على الحدود
يستقبلون بوجهك ... الحسنات من كرم وجود
لثمو يديك وحاولوا ... بعيونهم لثم الخدود
هتفوا بذكر زعيمهم ... وزعيمهم سعد السعود
وكأن قائدهم أتى ... والنصر خفاق البنود
وكأن سعداً مقبل ... والناس في كلف شديد
وكأنما أورى بهم ... من عزمه موري الزنود
أو ما لفضلك كل من ... يرعى الفضائل أو يرود
فأذهب وعد فإلى العلا ... والمجد يذهب أو يعود
وأطلع كما طلع الهلا ... ل على التهائم والنجود
قل للصعيد أخلد فأن ... ت اليوم أجدر بالخلود
يهنيك يومك أنت في ... ه اليوم في عيش رغيد
ظفرت عيونك بالعظي ... م وبالرحيم وبالودود
مالوا وأفئدة الولاء ترف ... والهامات ميد
أو مصطفى زغلول أم ... هارون موسى في الصعيد
أم أن بغداداً توا ... جه ركب هارون الرشيد
هذا فتى سعد خلي ... فة ذلك البطل النجيد
هذا خليفة قائد ... صعب الزمان له مقود
حمل الأمانة صابراً ... من دونها صبر الجليد
هو من علمت ملا نظي ... ر سما إليه ولا نديد
ينبوع علم لا يجف ... وطود حلم لا يميد
هيهات يهدم هادم ... ما يبتنيه وما يشير
بلغ الكثير من المنى ... من راح يقنع بالزهيد
ذو العلم يدرك قصده ... والقصد أقربه بعيد
وأخو إجادته يرى ... ما لا يراه المستجيد
فليهن قائد عصره ... أن القلوب له جنود

ولـيـهـن واحـد دهـره   فـي الـمـكـرمـات هـو الـوحـيـد
ولـيـهـن سـيـد قـومـه   إن الـبـلاد بـه تـسـود
لـحـمـى الـكـنـانـة مـصـطـفـى   ولـمـصـطـفـىٰ الـعـمـر الـمـديـد[1]

(١) جريدة البلاغ/ عبد القادر حمزة/ العدد ٢٠٤٩ القاهرة ص ١ الأحد ٥ شعبان ١٣٤٨/ ٥/ يناير ١٩٣٠.

تحية الأياب
لرئيس الوفد المصري

اليوم آب من السفر		اليوم قد صدق الخبر
اليوم بان من الضحى		ما في دجى الساري أستتر
اليوم تقرأ سورة		للفضل من تلك السوَر
اليوم نستمع الحديـ		ـث حديث ذي نعم غمر
اليوم يذْكر الجميـ		ـل وصنعه من يدّكر
اليوم يذكر سعد مصـ		ـر وهل كسعد إن ذكر
اليوم موكبه يسيـ		ـر وركبه فينا يمر
يا سعد قر فمصطفى		عين البلادبه تقر
هذا خليفتك الذي		أدى الفروض وما اقتصر
أدى فرائضه ووفّـ		ـا حق موطنه وَبَرْ
اليوم تشمخ مصر ما		بين البلاد وتشمخر
اليوم يلقي رحله		في ظلها الركب الأغر
الشعب أقبل كله		يستقبل الابن الأبر
يستقبل الرجل الذي		بهر الرجال بما بهر
بالراجحات من النهىٰ		والثاقبات من الفكر
والطاهرات خلائقاً		يندي بها الذكر العطر

نظروا فأدهشهم بما   أبداه من بعد النظر
حاروا ولكن أبصروا   فيه عليماً لم يحر
الفوه أدهى سابق   جلا وأجسر من جسر
متيقظ لم يقدروا   أن يأخذوه على غرر
عصر السياسة عصره   جعلته مفخرة العصر
ورد المجرة صادراً   والورد يحمد في الصدر
قفل المغامر راجعاً   لكن رجوع المنتصر
ما ارتد إلى بعد ما   ربح القلوب وما خسر
خلق المعاني الرائعات   لنا وأبدع وابتكر
وسبا البيان بما أطا   ل من البيان وما اختصر
إذ كان أفصح ناطق   لا عي فيه ولا حصر
خبر النفوس بما طوى   يوم الفخار وما نشر
يأبي على الأيام ما   تأباه شيمة كل حر
ولي الأمور فما نهى   إلا استفز وما أمر
يمشي على سنن الطر   يق فلا ضراء ولا خمر
جار مع الحسنى فما   وتر الخصوم ولا ثأر
إن عاد ظلم لم يعد   أو جار حكم لم يجر
عدلت حكومته فلا   حرج يحول ولا حضر
يسعى إلي نفع العبا   د فلا ضرار ولا ضرر
حريه تسع البلا   د ملا اضطهاد ولا حجر
ترعى بها حرم البيو   ت فلا تسلق في الجدر
أكذا القدير إذا عفا   أكذا الصفوح إذا قدر

❀ ❀ ❀

قد صح من خبر العلى   ما كان ثمت مبتسر
ما حجّبته يد النوى   وجه النهار به سفر
فلتشهد الدنيا سنى   في كل أفق ينتشر
ولتنتقي بد السما   من بين أنجمها الزهر

فإذا مشى فالشمس تمشـ ي أو بدى يبدو القمر
يجلّو الشكوك يقينه والشك ظل ينحسر
عذلوه عن سفهٍ ومن عرف الألى عذلوا عذر
نفر صريح أمرهم فينا ويا بئس النفر
أن ينطقوا فعن الهوى أو يرمقوا فعن البطر
لعبت بهم أهواؤهم لعب الصوالج بالأكر
ولوا فكانوا عبرة بين الأنام من العبر
ذهبوا فلا رجعوا ولا رجعت بهم تلك الحمر
ما قصر السيف الذي بز السيوف ولا قصر
ذكر الصفاح مؤنث بغرار مرهفه الذكر

❀ ❀ ❀

هل في الحمى ذو لوعة شهد المواقف أو خبر
يروي أحاديث الذي حمل العناء وما ضجر
ويبث أخبار الألى وصلوا العشية بالسحر
لم يشتكوا قصر الهنا لم يشتكوا طوال السهر
شربوا وما شربوا الطلا ان قيل للساقي أدر
ولطالما عبوا من الـ كأسين في حلو ومر
قوم إذا خطر النضا ل ببالهم ركبوا الخطر
أرأيت كيف تجمعوا متقابلين على سرر
يتصافحون وفي يد ثقة وفي الأخرى حذر
ناحين نفع بلادهم ماحين عنها كل ضر
من كل أشوس لم يبل قل المعارض أو كثر
أرأيت كيف تفرقوا كيف القلادة تنتثر
فعلى الألى قد عقدوا تبعات حل المؤتمر
ومن الألى لم ينصفوا ما كان من سوء الأثر
الحق راموا شطره وأبى الزعيم فما شطر
فإذا تردد معلن عن قصده فيهم جهر

صان البلاد بصونه ... تلك الحقوق من الغير
طلب الحقوق جميعها ... وعلى مطالبه أصر
صدق الأمين ولم يخن ... أوطانه فلقد كفر
الأصدقون لجنة ... الأكذبون إلى سقر
فلئن صفى [تايميزهم] ... فالنيل صاف من كدر
ولئن تعكر ماؤهم ... فالصيد في الماء العكر
لم يخف مؤتمر لهم ... إلا ويبدو مؤتمر
في أوليات لا تسـ ... ـود وأخريات لا تسر
تقضي لهم أوطارهم ... ولمصر لا يقضىٰ وطر
قد عللوها بالمنى ... وإذا المنى وخز الأبر
مصر إذا لم تستعد ... سودانها لم تستقر
سودان مصر عثرة ... أمل الوفاق بها عثر
بل صخرة من دونها ... صخر المطامع ينكسر

❀ ❀ ❀

هو خير مصر كله ... ومعاذها من كل شر
هو غيثها المدرار إن ... ظن العهاد المنهمر
لولاه ما ساغ المريد ... ولا تقطعت المرر
يا مصر لا تستيئسي ... تجري الأمور على قدر
وإلى جهادك واصبري ... بلغ الأماني من صبر
وأتمي غراسك وأرقبي ... لا بد من جنى الثمر
أن تصطفي فالمصطفى ... خير الصفيين الغرر
هو من علمت ففضله ... في صفحة الدنيا سطر
هو من حواشي خلقه ... والنهل من رثغب خصر
في روضة محمية ... بالمورقات من الشجر
وخميلة مزدانة ... بالمستطاب من الزهر
نفاحه عبقت بها ... أولى الليالي والأخر
هو ذلك الأسد الذي ... راع الأسود إذا زأر

إن قال يوم كفاحه ... فالنطق يقذف بالشرر
أو قال يوم سماحه ... نظم العقود بما نثر
هو أن تنكر حادث ... سد الثغور وما ثغر
هو كالحريق إذا سطا ... وكما الفتيق إذا هدر
لا نصف أو يقف الزما ... ن له وقوف المعتذر

❀ ❀ ❀

حال السياسة لا يقـ ... ـر وما لحال من مقر
بيناه ثغر ضاحك ... وأذاه جو مكفهر
بينا يسير بشيره ... وإذا بشائره تذر
لولا ممارثة المطا ... مع عندها سلم البشر

❀ ❀ ❀

كروا ولكن أيقنوا ... كرار مصر لا يفر
كذب الطموع فما أغتني ... صدق الأبي فما أفتقر
وإذا همو اعتصروا الصلا ... ب فعوده لا يعتصر
يا مصر وفدك عزمه ... عند الشدائد لم يخر
فسلي وأنت عليمة ... ما ناله فيما غبر
سدوا عليه ممره ... فأنسل من ذاك الممر
وتعمدوا أرهاقه ... فرساً وثابر واصطبر
يستعذب الجلي وما ... أدهى الخطوب وما أمر
رأس إذا اندحر الزما ... ن أمامه لا يندحر
من عاش في عبر رأى ... أن الزمان أبو العبر
هانت عظائمه على ... من يستفيق ويعتبر

❀ ❀ ❀

يا مصر وفدك دائب ... بجهادة لك مستمر
تغدوا وثغرك باسم ... أحشاؤه لك تستعر
لعلى ودادك قد نشا ... وعلى تفانيه فطر

عظمت خلائقه فلا وهن لديه ولا خوَر
قرى به وتيقني ما بعده لك مستقر
هزوا المواقف من بهم فخر المواقف يفتخر
شتان من فخر الزما ن بهم ومن منهم سخر
يا من ذا ما بادرت إحدى الجوانح يبتدر

❀ ❀ ❀

أوكر دهر بالصرو ف على مواطنه يكر
وأجاب أن داع دعا وأن استجار به يجر
ثب وأنزلن بها كما وثب ابن غيل أو زأر
الضيم يجهل ساحة أسد العرين بها خدر
فلئن تقم تقم المكار م أو تسر عنا تسر
خذ من يقينك أهبة والق الزمان إذا غدر
واحفظ لنفسك حقها وأسر برأيك أن تسر
العضب لولا ساعد يمتد منه ما بتر
السيف لولا فصله عند المشاكل ما اشتهر
حقق رجاء حياتها إن الرجاء ليحتضر
واجهد لنصرة حقها فالله ينصر من نصر
لا تتركن أمورها تجري بهن يد القدر
شيدت للأجيال مجـ ـداً خالداً لا يندثر
مصر وأنت زعيمها أبدا بأمرك تأتمر
طول الليالي عشتما لكما بها العيش النضر
مصر لنا الحصن المنيع وأنت كنز يدّخر (١)

---

(١) الأهرام/ ٢ مايس ١٩٣٠ ص ٥ القاهرة.

إلى الرئيس ١٩٦٨

هل الهلال فكان عند رضاكا ... وبدا سناه فكان دون سناكا
شهر الصيام وأنت تقضي فرضه ... تلقاه مغتبطاً كما يلقاكا
عش يا جمال المشرقين فليس من ... يعطي الزعامة حقها الآكا
قد صاغك الرحمن من آياته ... وبراك للحسنات حين براكا
ما فاز بالنصر المبين سوى الألى ... قد جاهدوا الأطماع تحت لواكا
وسلمت يا ذخر البلاد وفخرها ... إن غب قطر لا يغب نداكا
وبقيت للأوطان تبلغ قصدها ... ومنى المواطن في بلوغ مناكا
لا تأسفن إذا أسفت على الألى ... كانوا الورود فأصبحوا أشواكا
لا موئل إلى ذراك ولا حمى ... يلجأ إليه الحر غير حماكا

إلى الرئيس ١٩٦٩

أتيح الصيام كما تشتهي ... فكنت مناه وكان مناكا
وعاد الهلال على عاده ... ورؤّياه من دون رؤياكا
إذا شام نورك عاف السما ... ء وجاء إليك فحياكا
على ذلك العهد لاقيته ... كما ذلك العهد لاقاكا
له أذن ما بها ريبة ... إذا ما تلقف أنباكا
تصم لأعداء نور الهدى ... وتصفي لمن فيه والاكا
لقد كان يأتي الحمى سائلاً ... تسيل عليه عطاياكا
فأصبح يشكو إليك الزمان ... وما جره من قضاياكا
وكيف تراه على حالة ... محض جواها وكيف تراكا
فخذ بيديه وكن رحمة ... مزايا السماء مزاياكا
قصارى الكناية تحريرها ... وتحرير مصر قصاراكا
إذا قبل الله من صائم ... فروض الصيام فإنك ذاكا
وإن أسخط الله جحاده ... وإن رضي الله أرضاكا
إذا أسر الظلم أحرارها ... فلم ترى غيرك فكاكا
شؤت الصيام بخيراته ... وجزت السماء بعلياكا

إلى الرئيس ١٩٧٠
جمال عبد الناصر

العيد أنت جماله إن قيل هل هلاله
لكل شعب لدى العيـ ـد عادة وخلاله
وعيدنا من هدانا لخيرنا أعماله
يا حبذا يوم يهنا به وينعم باله
باق على الدهر ما شاء ليس يخشى زواله

رباب الكاظمي
دراسة وشعر ونثر

الفصل الثاني

نثر رباب الكاظمي



أُخذت هذه الصورة عام ١٩٢٧ وعمر رباب سبعة سنين.

نثر وكتابة

قلنا إن رباب الكاظمي نشأت ورتعت في مدرسة أبيها شاعر العرب الكاظمي. ومدرستها تلك مدرسة شعر مجرد. إلا أن رباب اتجهت فيما بعد إلى مطالعة كتب عديدة في النثر، واستمرت بالمطالعة والدرس حتى استوعبت عدداً لا يُحصىٰ من تلك الكتب، وأخذت تزاول الكتابة ولكن دون أن تنشر شيئاً منه، إلا بعض القطع الصغيرة.

وهي تنحو في نثرها منحى المنفلوطي: في أسلوبها، واختيار ألفاظها فهي تتحاشى اختيار الألفاظ الصعبة التي تحتاج إلى عمق في التفكير، وتنحو منحى مي زيادة في اتجاهها النثري فهي أكثر ما تعالج القضايا الاجتماعية، وخصوصاً ما يتعلق بقضايا المرأة التي شغلت بال الكثير من الكتاب الاجتماعيين والكاتبات.

وهذه نماذج من نثرها:

ـ كتبت عندما طلب منها مندوب «المسامرات»[1] أن تتحدث عن والدها المغفور له بمناسبة نقل رفاته إلى ضريحه الجديد: سأحدثكم عن قصائد لأبي كان فيها أول من دعى لوحدة وادي النيل، وأبرز روح الجامعة العربية ـ كان ذلك منذربع قرن تقريباً ـ قبل أن تتبلور هاتان الفكرتان فتصبحان كما هما الآن قال (رحمه الله):

---

(١) العدد ٩٦/ الأحد ١١ مايس ١٩٤٧/ ص٢٢/ القاهرة.

يـا نـيـل أنـت أب لـنـا وأبـو الأعـزة لا يـذل
مـن كـنـت أنـت أبـاً لـه فـبـنـوه قـد نـهـلـوا وعـلـوا
لـبـنـيـك أمـثـال ومـا لأبـيـك فـي الآبـاء مـثـل
فـإذا هـم نـسـجـوا عـلـى مـنـوالـه عـزوا وجـلـوا
الـحـل والـتـرحـال مـنـك إلـيـك إن رحـلـوا وحـلـوا
إن طـالـب فـرع مـنـك فـي مـصـر فـفـي الـسـودان أصـل
والـفـرع لـولا أصـلـه مـا زادفـيـه مـنـه فـضـل
لـك فـي الـعـراق وفـي الـشـآم ونـجـد والـحـرمـيـن أهـل
ذاك الأبـر مـن الـجـزيـرة مـا يـبـر أخ وخـل
يـتـسـاءلـون ومـا لـهـم إلآك يـا ذا الـمـن سـؤل
أن تـسـتـقـل كـمـا تـرجـوا فـالـرجـا أن تـسـتـقـلـوا

وتجدون في قصائد والدي كلها تغنياً بمجد العرب، ودعوة قوية لاتحادهم، ويعرف عنه الذين اتصلوا به وحضروا مجالس شعره وأدبه أنه كان الحجة على من شك في ارتجال عمر بن كلثوم، فما أن يعرض الموقف في مناسبة ما حتى ينبعث منه الكلام شعراً، وقد أثارت هذه الموهبة العظيمة ـ أي القدرة على الارتجال بالبداهة ـ شكوك الكثيرين ممن لم يلازموه أو يختبروه، ولا لوم على هؤلاء لأنهم أصدروا حكمهم استناداً إلى ما يستطيعونه هم أنفسهم من القدرة على قول الشعر، فارتجال الكلام المنثور صعب، فكيف بالمنظوم المقيد بالوزن والقافية، ولكن الرجال الموهوبين لا يقاسون بالقياس المشهور والمعروف، وقد أسماه أستاذنا الجليل عباس محمود العقاد «شاعر البداهة والارتجال» ووصف الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازرق ارتجال صديقه الكاظمي وصفاً صادقاً دقيقاً في مقدمته للجزء الأول من ديوان أبي، كما ذكر المرحوم الأستاذ «سركيس» في مجلته الشيء الكثير عن وقائع ارتجال «الكاظمي» للشعر في مناسبات مفاجئة طارئة.

وكتبت الكاتبة الأديبة الآنسة روز فرنسيس بعنوان «ساعة مع الآنسة

الشاعرة رباب الكاظمي» في جريدة البلاد[1] عندما قصدت العراق أيام احتفالات التأبين لوالدها المرحوم قالت روز فرنسيس:

«كنا متوقعين منذ مدة قدوم ابنة العراق وابنه الشاعر الكاظمي، الآنسة الشاعرة رباب، وها إنها قد حلت عاصمة العراق على متن طيارة، أتت بغداد وسترجع إلى مصر بجنسية العراق التي أبت الظروف أن تكون حائزة عليها منذ المهد، فهي كما يعلم وليدة مصر الشقيقة العربية تربت بين أحضانها، وارتشفت مناهل العلم والثقافة من مدارسها ومجتمعاتها وفي دار أبيها، كان أول لقائي بها بعد قدومها بيوم واحد، وكانت آثار التعب بادية على وجهها، تكلمت أنا وإياها لبضع دقائق فألفيتها فتاة عذبة الكلام، سريعة الخاطر، هادئة الطبع، تتأنى في قولها، وهي في جلستها تراها ساكنة وعلى وجهها شيء من الأسى، طلبت منها حديثاً لينشر في البلاد فأمهلتني إلى فرصة أخرى.

وكان إن التقيت بالآنسة رباب في اجتماع أدبي أقيم في مدرسة الكاظمية للبنات تكريماً لها، فرأيت أن هذه خير فرصة للاستمتاع بكلامها، فأخذت أتجاذب واياها أطراف الحديث، ولما سألتها عن رأيها في بغداد أجابتني أنها قد طابت نفساً فيها ولكنها تشكو الحر الذي لم تتعوده، وقد أعجبها ما رأته من النهضة في هذه السنين القلائل التي مرت منذ تأسيس الدولة العراقية، أما ابنتيها فلم ترق لها كثيراً إذ أنها لا تتفق ومناخ الإقليم. سألتها عن الحالة الاجتماعية في مصر فما كان منها إلا أن قالت مصر قد أصبحت بلداً تضاهي البلاد الأوروبية في نهضتها، الأفراد متعلمون، وأفكارهم مختمرة وقابلة للتجديد، وهي بلاد ساعية للقضاء على كل عتيق، ولقد وجدت في العراق تقاليد لا توجدفي مصر، المرأة هناك سافرة، ولا أثر للحجاب إلا عندبعضهن اللواتي لا يتجاوز عددهن أصابع اليد، والشباب كله روح وثابة، ساعية إلي الرقي، ويحق لمصر أن تفخر بشبيبتها الناهضة.

أما عن الحركة العلمية هناك فقد قالت أنها واسعة النطاق، المدارس متعددة، والتعليم يكاد يكون مشتركاً بين الجنسين في المدارس العالية،

وإذا دخلت مدارس الطب والحقوق تجدين الفتيات والفتيان يدرسون معاً بروح متعطشة لارتشاف مناهل العلم. . وقد أثرت حركة التعليم في مصر على الاحتفاظ بثروة البلاد فالشبيبة هناك أخذت تؤسس الشركات للعمل، وتعمل على إصلاح الزراعة، وترفيه الفلاحة، وتحسين المصنوعات الوطنية فالقماش المصري لا يختلف عن القماش الأوروبي في حبك نسجه ونعومته، وقد ذهبت اليوم لأبتاع لي قماشاً عراقياً وطنياً آخذه معي إلى مصر، أن القماش العراقي فيه شيء من الخشونة ولكنه حسن بالنسبة إلى الوقت القصير الذي ابتدىء فيه بعمل النسيج الوطني، في مصر مشاريع عديدة تقوم بها شبيبة مصر المثقفة وكلها متجهة إلى غاية حفظ ثروة البلاد.

قلت لها ما رأيك في مساواة المرأة بالرجل، وهل تحبذين ذلك؟ ابتسمت عند هذا السؤال وقالت: إن هذه المشكلة التي تجابه الشرق خاصة وإما أنا فأرى شخصياً أن هذه السماواة في بعض الحقوق ما دامت قد تحققت في البلاد الأوروبية ونجحت فليس هنالك من مانع يحول دون حدوثها في الشرق اللهم بعض التقاليد والقيود التي تزول بحكم الظروف، وإن المرأة يجب أن تشتغل وتساعد الرجل حتى آنست فيها المقدرة على العمل، ولكنني لا أنكر ما خصه الله بالمرأة من الخصائص التي تميزها عن الرجل وإن واجب الأمومة المفروضة عليها ليس بقليل الشأن، إنني بعد أن أنهي دراستي هذه السنة سأسافر إلى إنكلترا على الأغلب للتخصص أما بالهندسة أو الطب لأبرهن على أن المرأة تستطيع إن أرادت أن تساوي الرجل. . قلت لها: ما هو رأي المرحوم والدك في إعطاء المرأة حريتها أو لم يمانع في هذا الأمر؟ أجابتني أن والدي كان من المحبذين لهذه الفكرة منذ أن كنت طفلة، وكم مرة نبت عنه في حضور كثير من الاجتماعات وفي بعض الحفلات والأندية، وكان يحرضني على الجدل دائماً، ويرى بأنه لا مانع من إعطاء المرأة حريتها ما دامت قد تربت تربية حسنة، وقد كان لي منه خير مشجع ودافع على العمل.

سألتها: هل للمرأة في مصر روح متجهة نحو الاشتغال بالسياسة؟ إن السياسة في مصر لا تزال مقتصرة على الرجال وقل من الفتيات المصريات من تتطرق في البحث إلى هذه الناحية ولكن هنالك من الفتيات من أخذن

يزاولن الصحافة ويكتبن في شتى المواضيع الأدبية والاجتماعية، وفي مصر الآن حركة للفتيات يقمن بها للمطالبة بالاشتراك في الانتخابات النيابية وهذه الفكرة معروضة الآن على بساط البحث في الصحف.

أنهت الآنسة رباب كلامها بشكرها لإخوانها العراقيين على ما لاقته من التقدير وقالت: إن هذه خير ذكرى لي احملها إلى مصر ريثما أعود بعون الله إلى بلادي واعمل لخدمة وطني، وقد كان بودها لو أطالت في الحديث لكن كانت في ذلك اليوم متوعكة المزاج نوعاً، فشكرتها على لطفها ورجوت لها مستقبلاً زاهراً.

أذاعت محطة الرباط بالمغرب هذه الكلمة بمناسبة احتفالها بذكرى الكاظمي عام ١٩٦١: كفاح العرب في سبيل استعادة استقلالهم وانتزاع حريتهم تمثل في نواح عديدة من نواحي المجتمع العربي، فكان الشعراء والكتاب يستنهضون الهمم ويشحذون العزائم وكان الثائرون من القادة وأفراد الشعب يجاهدون بسيوفهم ويضحون بأنفسهم حتى أثمر ذلك الكفاح ونالت معظم الأقطار العربية ما كانت تصبوا إليه من حرية واستقلال على مختلف مظاهر تلك الحرية وذلك الاستقلال، وصار من حق الوفاء لأولئك جميعاً أن نذكر تضحياتهم بعد أن نلنا نحن العرب ثمرات ذلك الكفاح ومغانم هذا الاستقلال.

ففي مثل هذا اليوم الأول من شهر مايو عام ١٩٣٥ لبّى والدي عبد المحسن الكاظمي نداء ربه ولست بحاجة إلى أن أعرفه إلى إخواني بالمغرب إذ أنني على ثقة بأن العرب في كل مكان يعرفون عن الكاظمي وعن تضحياته وعلو كعبه في عالم الشعر العربي القومي الشيء الكثير، فالوفاء لذكراه لا أخال العرب بساهين عنه، ولقد أخذتني غمرة الفرح والفخر حينما قابلت الملك المجاهد محمد الخامس طيب الله ثراه في إحدى الحفلات التي أقيمت له عندما جاء إلى باريس ١٩٥٠ وكان الصراع على أشده بينه وبين فرنسا، فبادرني بذكر مقام والدي في عالم التضحية والشعر القومي، فأكبرت هذا الوفاء الذي أبداه الملك العظيم الذي لم ينس فضل من سبقه من المجاهدين، ولا أنس كذلك نجله الملك الحسن الثاني

وكان إذ ذاك ولياً للعهد عندما قال على مسمع من الحاضرين في ذلك الحفل موجهاً كلامه إلينا نحن العرب من المشرق، إنكم ذقتم طعم الحرية والاستقلال ونحن لا نزال نرزح تحت أعباء الظلم والاستعمار، ولكن بعون الله سننال استقلالنا بأقرب مما تتوقعون. وكان سموه يتكلم بلغة عربية صحيحة وسليمة وبمنطق حلو عذب أدهش السامعين، كما لا أنس مقابلتي له بعد بضع سنين وبعد أن حصل المغرب على استقلاله وكان ذلك بدار السفارة المغربية بتونس عام ١٩٦٠ وترحابه بي ودعوته إياي لزيارة المغرب الأغر وقوله لسفيره اذاك السيد محمد العربي العلمي، بأن السيدة رباب ابنة شاعر العرب الكاظمي ستكون ضيفنا متى شاءت لترى بلادنا في عهد الحرية والاستقلال، فقلت في نفسي لله درك يا أبي فإن صيحاتك لاستنهاض الهمم لم تذهب هباء فها هو بلد عربي عزيز آخر ينتزع استقلاله ويتمتع بحريته فأين عني أنت اليوم لترى أمتنا وقد تحررت واتحدت كلمتها ولمت شتات شملها، والله اسأل أن يكمل لنا نعمته ويزيدنا قوة على قوة وحكمة على حكمة أنه سميع مجيب.

❁ ❁ ❁

منافع الشمس ـ ١٩٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم:

قال الله سبحانه وتعالىٰ في كتابع العزيز.

﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها﴾.

صدق الله العظيم

فالشمس أفضل النيرات قاطبة. وأبعدها صيتاً. وأكثرها نفعاً وأعمها فائدة.

الشمس آية النهار إذا طلعت نسخت آية الليل بجيش الليل. يَجيش ويسطو الظلام سطوته فإذا ما أحسن بقدوم ضوء الشمس فر هارباً لا يلوي على شيء وأصبحت جيوشه أنقاضاً تذروها في الهواء ذراتها. تغرب الشمس فيغرب معها الأخذ والعطاء والبيع والشراء وإذا طلعت طلع معها الأمل واتسع مجال العمل لولا الشمس ما أورق الشجر ولا ينع الثمر ولا نمى البشر ولا تفتحت أكمام الأزهار ولا غردت الأطيار ولا صفا الهواء في الفجاج ولا عذب الماء الأجاج ولولا الشمس ما تكون السحاب ولا تمزق الضباب ولولا الشمس ما تبخرت البحار ولا جرت الأنهار ولا تنافست الأفكار ولا تمتعت الأنظار ولا تسابق التجار ولا توارى الفجّار ولا عرف الليل من النهار ولولا الشمس ما اندفع الخادم إلى مكنسته ولا هرع التلميذ إلى مدرسته ولا رجع المعلم إلى نفسه ولا انكب المتعلم إلى درسه ولولا الشمس ما كان العلم ولولا العلم ما عرفت فوائد الشمس.

فوائد المعادن – ١٩٣٢

المعادن أنواع كثيرة. موادها غزيرة. فإذا غاب عني من أسمائها الكثير فما حضرني عنها فغير يسير. فهاك البعض. فما تمخضت عنه الأرض في القديم والجديد من فحم وحديد. ومما شهد بفضله الزمان من قصدير ورصاص وعقيان المعادن كنوز دفائن ومبعث التحف في الخزائن. يخرجها الناس من حين إلى حين. جهد العلماء العاملين. المعادن مصدر الشراء وسلم العلياء ومنزع العلماء في الأحداث والقدماء. لولا المعادن ما نجح مطلب ولا سار مركب. ولا بلغ مأرب ولا راق مطعم ولا مشرب. لولا المعادن لحار الإنسان. ووقف دولاب الأكوان ولا قرب مكان من مكان لولا المعادن ما بانت الهمم. ولا بانت القيم ولا بان العظم ولا بان الجود والكرام. لولا المعادن لما تقدمت الشعوب والأمم. من عرب ومن عجم في المجد والعظم. في الأباء والشمم. والخلال والشيم. لولا المعادن ما كان مخترع ولا كان مبتدع. ولا كان مصنع ولا كان منتجع ولا مقتنع لولا المعادن ما كان من فخر. لعصر على عصر ولم تعل تربة على تربة ولا شعبة على شعبة إلا بمقدار ما فيها استكن من ذلك المعدن فبالفحم والحديد. للقريب والبعيد. تسير القاطرات وتحلق الطائرات. وتعب الماخرات. وتتسابق المراكب. في المشارق والمغارب للذاهب الآئب. في القصدير والرصاص في فروع الأمور والأعياض غير نعمة. من أنابيب ولحمة. ومن العفيان للحسان وغير الحسان من فتيات وفتيان. زينات وحلى

ونقود تجلب الخير وتدفع البلا، لولا المعادن ما تم عمران ولا امتاز زمان على زمان فليستيقظ النائم. وليبتهل الصائم. وليردد معي المقال اللهم حقق الآمال.

وصف الإبرة ١٩٣٢

الإبرة جسم صلب من الحديد منصب صباً وهي أداة للخياطة ذات طرفين أحدهما مثقوب يدخل فيه الخيط والآخر محدد شائك يشبه به ذنب النحل. فوائدها جمه وجودها خير نعمة وأي نعمة أفضل مما يستر الجسم. ويشفي السقم ويقي الحر والبرد. وآفات لا تحصى ولا تعد. لولاها ما تنافست الأوانس في الخياطة والتطريز ولا تسابقت في إحراز التبريز ولولاها ما عرفت العباءة ولا كانت الملاءة ولولاها ما ازدانت العروس ولا ابتهجت النفوس لولاها ما كانت الملابس. ولولاها ما ازدانت البيوت بالرياش والطنافس ولا كان الكساء. ولا كان الحذاء. ولولاها ما كان الرافي والراقع ولا كانت العصائب والبراقع لولاها ما كانت الكلّة ولا كانت المظلة ولولاها ما كانت الحقائب والأكياس ولا ظهرت العادات في الأجناس ولا اختلف الناس في اللباس. ولولاها ما كان لسفينة شراع ولا حفظ مال من ضياع ولولاها ما كان من المغارب والمشارق. من خيمة أو سرادق. ولولاها ما كان سرج ولا كور ولا حجب ولا ستور هذا كله بالإبرة وبفضل الإبرة وهذا قليل ما لفائدتها من كثرة فليقنع بالقليل القانع إذا طمع في الكثير الطامع والله يتولى الجميع ويبلغنا المقام الرفيع.

فوائد المطابع ١٩٣٣

المطابع ذكرها شائع وصيتها ذائع ونفعها عام لا تحصيه الأرقام فهي مثل للناس من جميع الأجناس. المطابع منهل عذب المذاق. وسوق من أربح الأسواق. لولا المطابع ما انتشرت الصحف والكتب في العلم والأدب للعرب وغير العرب المطابع كنز يجهله أكثر الناس. وحرز يذهب بالخناس الوسواس. المطابع سر من الأسرار جاء به الاختراع والابتكار. بينما هي حروف مبعثرة. إذا هي آيات مسطرة. وآحاديث عطرة، وكتب منمرة. وصحف مطوية منتشرة. لولا المطابع ما وصل الأديب إلى ما عز إليه الوصول. ولا حصل الأديب على ما عز عليه الحصول. لولا المطابع لبقي طالب العلم بين القوم إلى اليوم. يرمي بغير سهم. إذا سمع بكتاب في الشام. أو في بلاد سيام. ركب الأخطار وجاب القفار. وخاض البحار متنقلاً من بقعة إلى بعقة ومن شرعة إلى شرعة. حتى إذا وصل إليه في مدينة من المدائن. أو خزينة من الخزائن. أتعب في سبيل استنساخه القلم. وأذاقه أنواع الألم. هذا إذا كان الطالب غنياً، وكان يسره جلياً. وأما إذا كان فقيراً. ولم يمتلك قطميراً. ذاق الأمرين. من نصب وبين. ورجع بخفى حنين. قربت المطابع البعيد. وجمعت بين القديم والجديد. كانت تنسخ النسخة الواحدة من المخطوط القليل الفائدة في عام أو أعوام. وليال طويلة الأحلام. فأصبح اليوم بفضل المطابع الكثيرة المنافع يطبع منه الألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف في ساعة وبعض الساعة. وينتشر بين الفرد والجماعة. ولولا وقتنا القصير لجئنا بأكثر من الكثير فالمجمل أجمل والقليل أفضل وخير الكلام ما قلّ ودلّ.

النظافة وأثرها ١٩٣٣

خير صفة محمود مصدرها وموردها. لا يكون الإنسان. كامل الأيمان. ولا شهي المعاني والبيان ولا يكون بين الناس. كامل الحواس، ولا تعظم نفسه. ولا يمتاز حسه. ولا تعم شمسه ولا يطلب أنسه. ولا يثقب له فكر ولا يصيب له رأي. ولا ينفذ له أمر ونهي. ولا هو مصقول من أطرافه. ولا هو محلول في أعطافه ولا يكون محسّداً في صفته. ولا مجحداً في عشرته ولا يكون قدوة عين حين تحمد القدوة. ولا ذا سطوة حين تهاب السطوة. ولا يورد من منهله ولا يؤوي إلى منزله. ولا يتاق إلى مشربه ومأكله، ولا يصاخ إلى حديثه وكلامه. ولا يُعبأ بتحيته وسلامه. ولا يكون حلو المنظر. ولا حلو المخبر. ولا تصح دنياه ولا يصح دينه. ولا تصح عقيدته. ولا يصلح يقينه. ما لم يكن نظيف الجسم. نظيف الاسم. نظيف الثياب. نظيف الأهاب. نظيفاً إذا جلس. نظيفاً إذا درس نظيفاً إذا ائتنس. نظيفاً إذا اقتبس. نظيفاً إذا كتب. نظيفاً إذا حسب. نظيفاً إذا خطب. نظيفاً إذا وعظ. نظيفاً إذا رقد واستيقظ. وكيف يصح له بدن ويؤلف له سكن. ويبدو منه فعل حسن. وهو لا يبرأ من الدرن. إلى النظافة أيتها الزميلات. إلى النظافة أيتها البنات. إلى النظافة أيتها الأخوات. إلى النظافة أيتها الأمهات إلى النظافة أيتها الصاغيات السامعات فالصحة بأنواعها متعذرة. إذا كانت النظافة غير متوفرة.

وصف الشرطي ١٩٣٣

ينشأ الشرطي جاهلاً. ويشب خاملاً. ليس للفضيلة في نفسه مطمع وليس للمحمدة في أخلاقه مسرح. نار الحمية خامدة عنده لا تضطرم. والصنع الجميل عنده لا يحترم. نفسه ذليلة. وضالته كل رذيلة. الشرطي في بلادنا سيئة سيرته. سيئة سريرته. كثير عثاره. كثير اغتراره. غريبة أطواره جلية على المتأمل أسراره. وغير مدع إذا نشأ جاهلاً. وعاش خاملاً. فإنه ولد من جاهلين خاملين لم يعنيا لجهلهما أو لفقرهما بتربيته وتهذيبه ولا بتثقيفه وتدريبه. فكان كما تراه فظاً غليظاً. فلا ترى عنده إلا عقلاً مريضاً. هكذا يتداول الفقر الجاهل نشراً وطياً. حتى يؤخذ جندياً. ولا أعلم بعدها كيف صار شرطياً. من غير أن تظهر غيرته. وتذكو حميته. وتبين مروءته. وتعلو به عزته. وتتجلى قدرته. وتعرف أمانته. وتؤمن خيانته. يناط به أمر الساعة وأنصاف الشارين والباعة. ومراقبة الفرد والجماعة. من غير أن يدرك معنى المراقبة. أو يفقه معنى المحاسبة. لهذا تراه يعبث ذات اليمين وذات الشمال. بالنساء والرجال. لا يهمه عيبه. بل يهمه جيبه. فإذا لم يفز من البائع وغيره بما يريد. ساقه إلى العذاب الشديد. ولفق عليه التهم التي ليس عليها من مزيد. يقف في نقطة معينة. وجهات مبينة. من غير تمييز ولا إدراك. كأنه أحد أعمدة الأسلاك. يتظاهر بحفظ الأمن وفعله للأمن ضد. وترى فيه الصديق وهو عدوك الألد. يقل يقينه وتكثر شكوكه. ويقبض على اللص وهو شريكه. وطالما تواطأ مع السارق وهو الكاذب الصادق. كثيرة مضراته. كثيرة عثراته. كثيرة تلفيقاته.

كل هذا وفوائده في كثير من الأحيان كثيرة، ومنافعه في كثير من الأوقات غير يسيرة. يتوهم فيه اللص النزاهة فيرتدع. ويتخيل فيه الأمانة فيمتنع ويراه المشاغب راصداً فينتهي. ويحسبه المقلق للراحة شريفاً فيترك ما يشتهي. إلى هذا طاف بي السأم وحال بيني وبين إبراز ما عندي في هذا الباب من الحكم. ولولا الصوم وتأثيره اليوم. لبرزت في الميدان وملكت كل عنان.

شرطي يصف نفسه ويذكر فضله ١٩٣٣

يرفع الشرطي رأسه. حين ينعت نفسه. ويصف هندامه ولبسه ولامته وترسه. وكرمه وبأسه. وإدراكه وحسه. يتشق ويميل كمن لعبت برأسه الشمول. ويصول ويجول. ويقول حيث يقول أنا الحارس الأمين. أنا المعز المهين. أنا الراصد الرقيب. أنا السميع المجيب. منظري طرب. مخبري عجب. لمن ابتعد أو اقترب. ولمن أسفر أو احتجب. يزين رأسي غطاء. تنسبه الملوك والأمراء. وتزدان به الجحاجح العظماء. لونه أرجواني. أو أحمر قاني. كأنني به علم في رأسه نار. أو روضة يعلوها الشقيق والجلنار. لي قامة كالرمح معتدلة بكل مليح متسربلة. على كل مرهوب مشتملة. قامة لا تنحني أمام الحوادث ولا تنثني عند حلول الكوارث. ولا تلين عند اشتداد الكرب ولا تنزوي عند كرور الخطب. لي عين كالجمرة مشتعلة. ساهرة بكل شيء متصلة. تنتقل بي من قوم إلى قوم. ولا تأخذها سنة ولا نوم. لي اذن في الكر والفر. في الخير والشر. تسمع السر والجهر. ولا يفوتها انسياب الصل. ولا دبيب النمل. لي أنف يشم رائحة الجرائم. قبل وقوع الجرائم. ويستشق النسائم قبل هبوب النسائم. لي في وسط القد. حزام من جلد. وشت طرفيه بالأصفر من المعدن. وصقلتهما يد صانع متقن. مدلاة منه إلى الجنب حربه مغمدة لنصل الرمح. وضاءة كجبين الصبح. مما يوضع في رؤوس البنادق. كأنها إذا جُردت وميض بارق. على كتفي نجم يطول فخري. ويعلو به قدري. على حين كاهلي كالجبل. يَحتمل ما لا يُحتمل. لا يعرف الشكوى ولا ينكر البلوى. وفي

يدي عصاي. أبلغ بها مناي. أمزق بها الغوغاء وأمزق بها الأشقياء. فأطهر منهم المجتمعات والحفلات. أثرها في الرؤوس والأقفية. أثر الفؤوس في الأبنية. وفي رجلي حذاء أيما حذاء. حذاء يضعف دون نقله الأقوياء. فلا يحتذي به إلا الرجال الأشداء. والصناديدالأكفاء. حذاء يقطع الألوف من الأميال. ولا يبالي بتراكم الأوحال. وانهيال الرمال. قطاع وصال. في السهول والجبال. هذا منظري المطرب وأما مخبري المعجب فقف عنده وتأمل وسر في نواحيه ولا تتعجل. همة طالعة في الأفق. ضاربة في مختلف الطرق. عزم كالسيف مجرد من الأغماد واقف بالمرصاد. لمن يهدد أمن البلاد. ويزعزع طمأنينة العباد. ويعبث بحقوق الجماعات والأفراد. من كل رائح وغاد. وحاضر وباد. في كل يوم. شكوى من قوم. وفي كل ساعة. أمر متناه في الفظاعة. في كل دقيقة. بحث عن حقيقة. من جرائم سرقات. إلى جرائم موبقات. إلى جرائم مخدرات. إلى جرائم سيارات. إلى جرائم سكر. إلى جرائم نكرة إلى جرائم قتل. إلى جرائم لم نسمع بمثلها من قبل. إلى جرائم احتيال ونصب. إلى جرائم تزوير وكذب. إلى جرائم ترتكب جهراً. إلى جرائم ترتكب سراً. هنا واقعه. والشمس طالعة. وهناك جريمة. والأقفال سليمة. ها هنا جناية. تضاربت فيها الرواية. وها هنا زراية في عظيم. ونكاية في كريم، ومثل هذا كثير لا يعد. وأكثر لا يحد. من قذف وسب وطعن وضرب. كل يحتاج إلى بحث دقيق. واستطلاع وتحقيق. وليس عندي من وسيلة. وليس لي من حيلة. في الوصول إلى ما أريد أو يراد مني إلاّ قلب أهتدي به إلى كشف الأشياء. ومعرفة الجناة من الأبرياء وفراسة أستعين بها على جلاء الأمور. وكشف المستور. في الظلمة والنور. ولسان أهوش به. فتارة أصيب مرماي وتارة أخفق في مسعاي. أقف في السوق أو الشارع راصداً للمشتري والبائع. كالسالك المتفرج. أو الضاحك من المهرج فإذا اختلف المتبايعان على الأثمان. أو على مخالفة الكفتين في الميزان سقت المعتدي من شارع وسوق. إلى حيث أسوق. وسرت به لا على هواه. بل إلى حيث يلاقي جزاه. أكمن وراء الأكم. وأختبىء في جنح الظلام. لاقتناص اللص أو القاتل. من مقيم وراحل. لا أترك الجاني للطفه. ولا اتهم البريء

لضعفه. سيان عندي الضعيف والقوي. والخائن والوفي. ليس عندي صاحب. عند إداء الواجب. وليس عندي صديق عند التحقيق. لا أسأل عن الأحباب. بينما أنا شهد إذا أنا صاب أسير على هذا المنوال. وفي مثل هذه الأحوال. أكشف المستور. وأستوضح الأمور. أنقض كالنسر. إذا اقتضى الأمر، واثب كالنمر متى صرح الشر. بلا خوف ولا وجل. ولا حياء ولا خجل. لولاي ما سكن الهياج. ولا انقطع اللجاج. لولاي ما اطمأن الخاطر. ولا قر الناظر لولاي ما ارتاح البال. ولا هدأت الأحوال. لولاي ما تحققت الآمال ولا صلحت الأحوال. لولاي ما وقف القاضي على الحاضر والماضي. لولاي ما صدر الحكم. على قدر الجرم. لولاي لانطمس أثر الإجرام. لولاي ما نفذت الأحكام. وما زلت أواصل الليل والنهار. في تعقب الأشرار. وما زلت ألج كل طريق. وأخرج عن كل مضيق. بحمية كالنار إلا أنها لاتخبو وعزيمة كالسيف إلا أنها لا تنبو. لو نحا كل شرطي نحوي. وحذا في عمله حذوي لما شكا إنسان من إنسان. ولا فضل زمان على زمان. ولو كان للتفصيل مجال. لما جئت بهذا الإجمال. هذا ما كان في الإمكان. في هذا المكان وبالله المستعان.

اليوم الممطر ١٩٣٧

أبهج للنفس. وأبعث للحس. في الأرجاء والأنحاء. في الأرض والسماء يوم ممطر. وجو مكفهر. وحال يضطرب ثم يستقر. وضمير يظهر ثم يستتر. فهذا الحال. أدق في الجمال. أبدع عند المفكر. وأوقع لدى المتذكر. من نور الشموس وجلوة العروس. ما ألطف اليوم إذا أشمس ثم أمطر ثم أشمس. وما أغلى المطر عند مساس الحاجة إليه وما أنفس. خير الأيام. في السهول والآكام. يوم تراكم سحابه. وتوالى ربابه. وزحف جيش الطبيعة في البقاع في الهجوم والدفاع. فيريك الليل نهاراً. والسر جهاراً. فتهتف عندها الطبيعة. بجمل بديعة. وهناك تسمع شاعر العصر ذاك أبى ولا فخر

وكأن السحاب فيه دخان ... يتعالى فيعتلي الشغواء
أو عجاج تثيره أرجل الجيـ ... ـل فتسري بنقعه الأجواء
وكأن البروق أسياف أبا ... ئي اما توسطوا الهيجاء
هذه تخطف العيون من الها ... م كما تلك تخطف الأحشاء
هذه تترك الغمائم انقا ... ضاً كما تلك تترك الأعداء

إن ما جمع بين الربوع. وألف بين الربيع. وأعاد الجدب إلى خصب. والأجاج إلى عذب. لهو اليوم الممطر. الريق المورد والمصدر. خير يوم وظاهر الجو حران وباطن الأرض صديان. يوم أقبلت السماء فيه على الأرض. وتدانى بعضها من بعض. فسقت برذاذ ثم بطش. ثم بطل ثم

برش ثم بوابل مدرار. ثم بسيل جبار. ثم تقبل الشمس. فتبهج النفس. ويتنفس الزرع، ويدر الضرع، اليوم الممطر. كالشجر المثمر. وإن يوماً والحاجة ماسة، لا مطر فيه، لا خير فيه. يوم تتلبد فيه الغيوم ليوم تجلو فيه الغموم. كما تثور فيه الهموم. ما ألطف المطر إذا عم الغرب والشرق. وحداه الحاديان الرعد والبرق. ما ألطف وميض البرق وزمجرة الرعد. في القرب والبعد. الشمس إذا أحرقت فهي ضحكة المغبون عند الترح. والمطر إذا الحاجة أحوجت فهو بكاء الفرح. أهلاً بهذا البكاء. وبعد ضحكة البرجاء. خير المطر. إذا انهمر. وحقق الأمل. وعم السهل والجبل. وأسال الوديان. وأترع الغدران. وغمر الأنجاد والوهاد. ترك البلاد والعباد. يذهبون فيها ويجيئون ويروحون ويغدون. كل يحمل بشراه. ويتم مسعاه. وكل يطيل الدعاء. في كل صباح ومساء. يا ربنا حقق الآمال في يوم صحو أو ممطر. وجو ضاحك أو مكفهر.

وصف النخلة ١٩٣٧

النخلة غرس إذا أحسن وضعه. ثبت أصله ونما فرعه. وكبر نفعه غرس طيب الثمر. جليل الأثر. تغرس النخلة من نواة ثمرها. أو فسيلة جذرها. فإذا كانت الأولى طالت مسافة نمائها. وإذا كانت الثانية قصرت مدة إيفائها. فكلما تعهدت سقيها. وواليت ريها. أعجبك منظرها وبهرك مخبرها. حتى إذا خوصت وزها أكليل تاجها. وجاء ميقات نتاجها. أبصرت منظراً يخلب الألباب. ويدخل عليك السرور من كل باب. فمن عقود لؤلؤ يتلألأ. إلى عقود زمرد يتدلى. من زمرد يحلو. إلى زبرجد يغلو إلى ياقوت وكهرمان. تتحلى به وتزدان. صاحبة الجيد الأقلع. والعنق الأرفع. فإذا أجلت الطرف. وجاء دور القطف. رأيت ما أبهى. قطفت ما أشهى. وأما الدور الذي تجتازه من حين غرسها. إلى اجتناء ثمرها. فمن ثلاث سنين إلى ثلاثين. وأما فائدتها فكلها فوائد. جذعها للوقود ولسقف المنازل وتدعيمها. وخوصها يصلح لمقاطف الثمرات. وجنى الطيبات. وأوعية يكبس فيها التمر وقفاف. تنقل فيها المحاصيل إلى سائر الأطراف. في سعفها والكرب. ما يغني عن الحطب. وفي رطبها والجمار. ما في أطيب الثمار. بالجملة فالنخلة لسائر النبات قبله.

فوائد المواظبة على قراءة الكتب والصحف والمجلات

الصحف والمجلات. كالصدف فيه الدرر مكنونات. فمن عكف وواظب على قراءة المجلات والصحف. كان له ما كان للغائص من المكنونات في الصدف ليس للمرء ما يبدء ويعيد. وليس على فائدته من مزيد. كالقراءة والمواظبة عليها والجنوح إليها. فهي مصدر الفوائد. ومجمع الفرائد. لولا القراءة ما كان شيء اسمه التاريخ. ولا شيء اسمه عطارد ولا المريخ. ولولاها لضاعت الأنساب. وتقطعت الأسباب. ولولاها ما عرف معلوم ولا مجهول ولا معقول ولا منقول. ولولاها ما كان خطأ ولا صواب. ولا استبان أجل ولا كتاب. لولاها ما عرفت في الأرض مذاهب ولا أديان. ولا فضل إنسان على إنسان. ولا امتاز زمان على زمان. لولاها ما حُمدت المزايا ولا ظهرت الخبايا. ما بين البرايا. ولولاها ما علمنا كيف كانت وتكون الأحوال. في الماضي والحال. اللهم إلا ما تناقله الألسن. وتشير إليه الأعين. وما ترويه الأبناء والأحفاد. عن الآباء والأجداد. وسرعان هذا ما ينقطع خبره. ويزول أثره. وتصبح لكل جيل لغة جديدة. وفي كل بلد صفات عديدة. وهناك الطامة الكبرى. والبلية العظمى. إذ تنقطع بين الأخ وأخيه. والأب وبنيه. كل صلة ورابطة. وهل بقيت أمة ذهبت مقوماتها ومشخصاتها ومميزاتها. وانقطعت الروابط بين أفرادها وجماعاتها. على أن القراءة وحدها للمرء لا تفيد ولا تبلغه ما

يشتهي ويريد. ما لم يكن قد تلقى العلوم وقواعدها. وعرف مضارها. وفوائدها. على أساتذة أفاضل، وجهابذة فطاحل. وبذل النفس والنفيس في سبيل الدرس والتدريس. حتى إذا ترك المدرسة، وصار خارجها. وعرف طريق الأماني ومناهجها. وواصل تحصيله للعلوم وواظب على قراءة الصحف. والمجلات. وسائر الكتب النافعات. وأخذ من هنا ومن هناك عن هذا وذاك. فاستفاد وأفاد. وبلغ ما أراد. وصار علماً من الأعلام في الخير للأنام. أما إذا توانى وكسل. وسأم وأهمل. وعلم ولم يعمل فقد رجع العالم إلى جاهل. والنابغ إلى خامل. وعاد خيره شراً. ونفعه ضراً. لئن وقف قلمي الجوال. وضاق به المجال. فكم أسهاب في ايجاز. وحقيقة في مجاز.

رغيف يصف تاريخ حياته ١٩٣٩

الرغيف في مجال الفخر. وفي مصال الذكر. يجول ويصول. ويقول حيث يقول. أنا من اسمه الرغيف. أنا سند الضعيف. أنا من سار ذكره في الأمصار. وفي الديااميم الغفار. تطيب للجياع أخباري وتتبع في البقاع آثاري. أنا من تشرئب إليه الأعناق. وتحفل به الآفاق أنا من طمحت إليه الأبصار. ودارت حوله الأفكار فاستدار. أنا فتنة العالم. أنا الذي من أجله هبط إلى الأرض آدم. أنا عنصر الحياة الأكبر وقوامها الأشهر. مذكور بكل لسان. مألوف لكل إنسان. محبوب أسمى. شهي طعمي. كنت قبل أن يصنعني الصانع. ويقدّمني للجائع. أسمى بالحنطة. وكان من أحرزني من العيش في غبطة فما أخف ذكرى على السمع. وما ألطفه على الطبع. وما أبركني في الزرع هل سُمع بمثلي. ذو أصل كأصلي. متصل بكواكب السماء. ضارب في عروق الأحياء. يزرعني الزارع في الفلاة. بين النخيل والشجرات يتعهدني بحد محدود. وعدد من السقي معدود. من ماء الأمطار. أو ماء الآباء. أو ماء الأنهار. وما نميت خير نماء. إلا بالشمس والماء. إذا زاد الماء قتلني. وإذا نقص أهلكني. وما أسلم من الوبال إلا إذا كان الري باعتدال. يزرعني حبة محبة. ويجنيني في كل سبعة سنابل في كل سنبلة مائة حبة. [والله يضاعف لمن يشاء] بينما الأرض قفر غبراء. إذا هي بي جنة خضراء. نضرة تشرح الصدر وتصقل الفكر. نضرة تقر الناظر. وتسر الخاطر. ويَظَلّ السائر والواقف. في ظلالي الوارف. براوحه وبباكره. غض النسيم. كأنه في ظلال جنات النعيم. حتى جفت سوقي.

وتذاكر التجار في رواج سوقي حصدني الحاصد. ونقدني الناقد. ونقلني بعد تمام الحصاد. جماعات وأفراداً وجعلني بيدراً بيدراً. ووكلت بحراستي مخفراً مخفراً. ثم ذريت لأخلص من التبن. وأصلح للطحن. حتى إذا ما فرغ الطاحن. تسلمني العاجن. ووضعني في إناء. وصب عليّ الماء. وأخذ يضربني بكلتا يديه حتى تعب وجاء بغطاء. أثقل رأسي. وكتم أنفاسي. ولما اختمرت حرص عليّ كل الحرص. وقطعني قرصاً بعد قرص. جمعني في تنور. وعند نضجي فرقت على الدور. فكم رأيت في حوادث الزمان. من أشكال وألوان وعزة وهوان. على أيدي الإنسان. فلا أشكو إلا الطامع. ولا أشكر إلاّ القانع. هذا علمته القناعة فرفع قدري. وطيب ذكري، وذاك أغراه الطمع فشوّه سمعتي. وضيّع كرامتي. وأساء إليّ. بما أخل من دخيل عليّ. حياتي كلها تعب ونصب. وعذاب بغير حساب. من مرارة الأحجار. إلى حرارة الحديد والنار لا يقر لي قرار. ولا تخلو من العبث بي دار. ولا أستقر في مكان. في كل زمان أنتقل من الشرق إلى الغرب وبالعكس. لتأنس بي كل نفس. هذه نبذة من تاريخ حياتي أجملتها.

التعاون وأثره ١٩٣٨

التعاون كله فائدة. بل كل الفوائد منه وإليه عائدة. لولا التعاون ما سادت أمة. ولا انكشفت غمة. ولا عزت قبيلة. ولا انتشرت فضيلة. ولا وطّد حصن. ولا شيد ركن. لولا التعاون ما كانت مزرعة ومشرعة. ولا عمل كثير المنفعة. لولا التعاون ما ذكرت الشركات. ولا تمت الثروات. لولا التعاون ما أبيدت الآفات. ولا اطمأن البال. ولا سلمت الأحوال. إذا تعاونت الأيدي في عمل. خف الحمل مهما ثقل. كل مطلب تعسر. بالتعاون تيسر. ليس التعاون عمل باقية آثاره. صادقة أخباره. ترهب الأيام جانبه. وتحترم صاحبه لا يستطيع الطامع مهما طغى. والظالم مهما بغى. أن يقتحم أمة تعاونت أفرادها وجماعاتها. في تجارتها وصناعاتها وزراعاتها. وعرفت لها عزتها وكرامتها. كيف تدفع الهجمات. وتصد الغارات. لا يحمد الأثر في الأعمال ولا يترك الخير للأجيال. ما يتركه التعاون على مر الزمان. في كل مكان يستطيع المرء أن ينال الثريا بالتعاون مهما بعدت. ولا يستطيع أن ينال الثرى بالتخاذل وإن قربت. التعاون يذلل المصاعب ويريح من المتاعب التعاون يدعم سمعة الإنسان. ويزيد في العمران. فالشعوب إذا تعاضدت وتضافرت. تعاقدت وتآزرت. وتعاونت واتحدت. لا يطمع في إذلالها طامع. ولا يسمع غير حسن أحدوثتها السامع. كيف لا يتعاون الإنسان. وهو شديد الأركان. ويرى تضافر النمل. وتآزر النحل. وتعاون كل من هذين دليل على ما للتعاون من فضل أكمل وذكر أجمل [الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه].

صديقتي هي ابنتي[1]

علمي بالناس. على اختلاف الأجناس. وما سارت به طبائعهم. وما انطوت عليه أضالعهم. من غدر وختل. وجفوة ومطل. في القرب والبعد سيما في هذا العهد. عهد لا يدوم. ووفاء معدوم. وود على غير نفاق لا يدوم. وطروقي لكل باب. في طلب الأصحاب. واعتقادي اليوم بمصاحبة الناس. على ذاك الأساس. كل هذه الحقائق وبعضها يكفي. تمثل أمامي وخلفي. حملني أن أؤثر الوحدة. وأعد لها العدة. لأكون في زاوية. عن الضوضاء نائية. سرت في هذا السبيل. عاكفة على التحصيل. معتصمة بالصبر الجميل. والله للصابرين خير كفيل. أكببت على مواصلة الدرس. في سبيل تهذيب النفس أغدو إلى المدرسة. وأنا بعيدة عن كل وسوسة. وأروح إلى المنزل وهو لي خير معقل. أنكب على المطالعة ليلي وعلى تلقي الدروس نهاري فيزداد بهذين علمي واختباري. قضيت على هذا الحال. وعلى هذا المنوال زمناً غير قصير. أمعن في التفكير. وأفكر في المصير. وعند تمحيص الحقيقة. علمت أن لا غنى لي عن صديقة. فلقد أبانت لي الوحدة بأن ليست لي قدرة أن أعيش وحيدة. وأبان قرب الناس من الناس بأن لا يمكن أن أكون عنهم بعيدة. وبالجملة. فقد اعتزمت ترك

---

(١) تزوجت رباب في السادسة عشرة من العمر وأنجبت محسن ثم لبنىٰ ومن ثم رجعت إلى المدرسة لإكمال دراستها. وكبرت لبنىٰ ودخلت إلى روضة الأطفال ثم إلىٰ المدارس تباعاً ودخلت الأم إلى الجامعة، فكانتا تذهبان وتجيئان وتروحان وتغديان سوية ولم يفترقا فهما صديقتان حتىٰ وافىٰ الأجل رباب.

العزلة ورحت أجد في طلب صديقة فاضلة تنكر الرذيلة. ولا تعرف غير الفضيلة وبينما أنا أتخوف. وإلى ذات الخلق الصالح أتلهف وإذا بأحسن الخبر. وأفضل العين وأجمل الأثر. إذا بملاك في صورة البشر. تبشرني بقولها. ها أنا يا أماه ضالتك المنشودة وأمنيتك المقصودة. فالتفت على حذر وأمعنت النظر. فتبينت صدق الخبر. تلميذة حسيبة. مهذبة نجيبة. صادق عملها. مجدة في سبيل تحقيق أملها. ذات وجه يغار منه البدر. وطبع يحسده نسيم الزهر. لا عيب فيها غير أنها صادقة وفيّة. نقية تقيّة. لا تعرف الحسد. ولا تضمر الشر لأحد. اتخذتها صديقة فكانت ولا زالت إذا أدلهم جو مسألة من المسائل. نبراساً اهتدى بنوره إلى جلاء ظلمات المعاضل. طلبت فأدركت. وسعيت فكسبت. والأخلاق خير مطلب. والأخلاق خير مكسب والحمد لله. أعطاني ربي بنتاً وأختاً وصديقة.

قطار السكة الحديد يفخر على السفينة الشراعية ١٩٣٢

يفتخر ابن الابتكار والاختراع. على ذات المجداف والشراع. ويقول حيث يقول. أنا صاحب الفضل الأوفى على العباد. والمقام الأسمى في البلاد أقرب البعيد. وإتلاف كل خطب شديد. أنا من عنا له المشرقان. وغنى بذكره الركبان. وانطوى في ظله الجديدان. ودانت لجبروته الجبال والوديان أنا في الحرب والسلم. في الجهل والعلم. في كل صقع وبلد. عدة من أعظم العدد. بي تخبو الحرب وبي تضرم. وبي يبدأ السلم وبي يختم. أنا وسيلة التاجر. وسلوة الساهر. ذكرى مليء الأسماع. في كل البقاع. أمشِ فيقف الدهر. وآمر فيمتثل الأمر. أصبح فيقبل سكان المعاقل والقلاع أقبال الجياع على القصاع. وإذا الوقت أزف. هرع إلى المؤتلف والمختلف من كل صوب وحدب. من عجم وعرب. لا يقر لكل فرد قرار. حتى يدرك القطار. فمن احتمى بي نجا. وحقّق ما رجا. أقطع الدياميم البيد وأنا طرب غرّيد. غير هياب رعديد. على قضبان من حديد. تطوق من ألمها كل جيد. أطلع من كل الآفاق. في الوديان والأنفاق. في السهل والجبل بغير كلال ولا ملل. في الليل والنهار. أسير في الفيافي والقفار. ولا أخاف العثار. هذه هي بعض صفاتي. في غدواتي وروحاتي. وأنت يا ذات الشراع. هل لك في الفخر من متاع؟ يلجأ إلى المسافرون والمسافرات من كل الطبقات فيجد الجميع. عندي بين الضلوع. المحل

الأعلى والأوسط والأدنى. هل عندك ما يصون كرامة الناس؟ أم أنت معتذرة عن ذلك بالإفلاس؟ أقطع مئات الأميال والآلاف. إلى سائر الجهات والأطراف. في ليلة أو بضع ليال فكم يكفيك من الآجال. لو قطعت بعض تلك الأميال؟ هل تكفيك الليالي والأيام؟ أم تعوزك الشهور والأعوام؟ أنت المقيدة وأنا الطليق. وأنا بكل فخار خليق. كيف يشمخ أنفه. من يختفي عن العين نصفه. وكيف يكون على الحياة أمين من في الماء دفين. كيف يترنح بفخره. ويترنم بذكره. من يعقده الوشل عن السير. ويلفظه تلاطم الأمواج إلى الطير. كيف لا يسير الوناء من زمامه بيد الهواء. فإذا وقف الهواء وقف. وإذا سار سار. من رآني ورآك واستقراني واستقراك. تبين طرفي نقيض. من حبيب وبغيض سيري موقوت. وسيرك ممقوت. تجدين في القرب والبعد. وتعدين ولا أنجاز للوعد. أحْوالك رغم أنفك فوضى. يرضاها لك محبك أولاً يرضى. وأما أوقاتي وحالاتي فلا يختلف فيها اثنان. كأنها موزونة بميزان. رحيلي وحلولي وموعد وصولي. إذا فحصت الحقيقة لا تختلف دقيقة. أنت لا تعرفين غير الونيّ. مهما أسرعت في المشي. وأنا لا أعرف غير الإسراع. مهما توانيت في الأزماع. وأني لأجد على الدوام أن أكون واسطة السلام. بين جميع الأنام والسلام خير ختام.

السَّفَرْ ١٩٣١

فوائد السفر عظيمة. وقيمته فوق كل قيمة. السفر للعالم العامل عز وفخار وللجاهل ذل وصغار. السفر حركة. وفي الحركة بركة. من ألف السفر. وأمعن النظر. فاز وظفر. السفر يهذب النفس. ويلطف الحس. ويزيد في الاختبار. ويكثر في الأعوان والأنصار. في السفر تتشذب الأخلاق وتروج الأسواق. من مارس السفر عليه قدر. وربح وما خسر. السفر علم ومال. وتحقيق آمال. وتذليل صعاب. وتفتيح أبواب. وتفريج هم وشفاء سقم. وتمحيص حقائق. وكشف طرائق. ورواج بضاعة واكتساب صناعة. فإذا كان في السفر مشقة. ففيه تقريب الشقة إلى بلوغ المرام. وتخفيف الآلام. السفر ميدان تبرز فيه الهمم ومجال تتنافس فيه الأمم. ومضمار تجلى فيه فارجات الأزم. لا تعلوَ الأقدار. ولا تتفاهم الأقطار. ولا تأتلف الأمصار. ولا تستفيد العلماء ولا تفيد. ولا تستجيد الشعراء ولا تجيد. ولا تمتاز العظماء والأغنياء إلا بالتنقل من دار إلى دار. والتجول في البحار والقفار. سيما في عصر الكهرباء والبخار. فلو شهد القائل هذا العصر. لما قال إن السفر. قطعة من سقر. بل قال. الأسفار. مطالع الأنوار. وسلوة الأسماع والأبصار. ووعورة البلدان خمائل الجنان. وعلى الجملة فالسفر خبرة واضطلاع. وأداة استطلاع ووقوف على مختلف الأوضاع. ومختلف الأجناس. ومختلف العادات ومختلف العبادات وليس من واسطة لبلوغ العلياء في الأرض والسماء كالسفر حميد الأثر.

ادخار المال يقي ذل الحاجة 1936

الحاجة مرة لا تجتمع معها المسرة. الذي يقي ذل الحاجة ومرارتها. ويجلب عز الحياة وحلاوتها. ويسير بالإنسان في طريق البر والإحسان ويرفعه إلى أسمى مكان. ويحميه من غائلة الزمان ويجعله السابق في الحلبات والمكرم في الحفلات. والعظيم في المحافل. والحكيم في حل العويص من المسائل. والعليم بأسرار الأمور. وما تخفي الصدور. البارع الموفق إلى تذليل المصاعب، وتخفيف المتاعب، والقادر على لم الشتات. وحل المعضلات. الكفيل بدفع الشر. والوسيلة إلى كل خير. هو المال. فالمال إذن هو الجمال والكمال. والعظمة والجلال. والسلطان الفعال. لتحقيق الآمال فوائد المال كثيرة وأية فائدة تضاهيها تماثلها. أم تدانيها وتعادلها. لا تعد ولا تحد. هل دعم صرح أو معقل. أو شيد معمل أو مغزل. أو بنى مسجد أو معهد أو بنيت أساطيل. من ذوات العرض والطول. وهل استردت عروش أو جهزت جيوش. أو نظمت جنود. أو حرست حدود. وهل عمرت ديار. أو بقيت آثار بغير المال؟ وعلى الجملة المال رأس كل شيء. الأمة المستدينة أسيرة رهيبة. إذا استدانت الأمة استكانت وإذا عجزت على تسديد ما عليها. فكل أمة بها استهانت. الأمة المستدينة لا تقوم لها قائمة. أيامها البيض ليال قاتمة. لا ينتبه لها ذكر. ولا يطول لها عمر. ولا يغبها سالب وغاصب. ولا يرهب لها جانب. كيف يرهب جانبها وتحترم مناصبها وهي في حاجة إلى العلم. في حاجة إلى تنمية الفهم. في حاجة إلى العمارات. في حاجة إلى الصناعات. في حاجة إلى صنع السلاح. وتشييد القلاع. في حالة الهجوم والدفاع. وكل هذه القوى أمرها بيد المال. فهي إذن مغلوبة. غير مرهوبة. حتى تنهض نهضتها. وتسترد سمعتها فتكون هي الدائنة لا المستدينة. وهي العزيزة لا المستكينة.

لولا المال ما كان بخيل ولا كريم. ولا كان حقير ولا عظيم. ولا كان غني ولا فقير. ولا امتاز سرير على حصير.

الكريم محبوب من أمته. محبوب من أهله وعشيرته. محبوب من

أوطانه ومن صحبه وخلانه. والبخيل على عكس ما هنالك. مبغوض في كل ذلك. الكريم محمود بكل لسان. والبخيل مذموم في كل زمان ومكان الكريم من يفنى ماله ويحيى ذكره وذكر وطنه وأمته. والبخيل من يفنى ذكره ويُحيى وفره.

الكرم في موضعه محمود. وفي غير موضعه ذميم. والإسراف والتبذير لا يقال لصاحبهما كريم. والشح والتقتير صاحبهما بخيل. وهو في كل أطواره ذليل.

الغني والفقير ـ الفقير له في الجنة وأين هو ذلك الفقير. والغني في الأولى والآخرة في سرور وحبور. الغني العاقل ربح الأولى والآخرة. وأخلد له في الدارين ذكراً. الجنة تباع وتشرى وتعود غداً فخراً. إذا بذل الغني مائة فدان في سبيل البر والإحسان رجع من الأجود أطيان في الجنة بألف فدان والفقير إذا ضجر وكفر فقد خسر الاقتصاد دعامة المال. وحاميه من الزوال. الاقتصاد للمال أساس. والإسراف عليه فاس. الاقتصاد قائد. والمال مقود والقائد إذا أحسن التصرف طاوعته الجنود. إذا وقف الاقتصاد على الحياد. فجيش المال. صائر إلى الانخذال. الاقتصاد في الحياة كنز الثروات نفائسه. والمال للحياة رمز والاقتصاد حارسه المال هناء العيش ونعيمه. حديثة وقديمة. من نما ماله كثر صحبه وإخوانه. ومن قل ماله قل أنصاره وأعوانه. المال في كل زمان ومكان صاحب الحول والطول. والقول والفصل. فليجتهد المجتهد للوصول إليه. وليقتصد المقتصد إبقاء عليه.

وصف محل تجاري ازدحم فيه الناس ١٩٣٣

قد يكون للرجل ما يشغله. عما يستلزم منزله. فتخرج المرأة لشراء حاجاتها. إذا وجدت سعة من أوقاتها. فتسلك الطريق الأقرب. وتركب لذلك كل مركب. من سيارة تسبق في سيرها النظر وتقطع المسافات كلمح البصر. أو عربة تسير خبباً. وتقي راكبها النصبا أو ترام يقرب البعيد. ويسير على قضبان من حديد. حتى إذا جاءت مخازن التجار. لتبتاع منها ما تختار. وجدت أمام كل مخزن طريقاً. مختلفاً سعة وضيقاً. رأت كيف يكون اجتماع السيارات. وائتلاف العربات واختارت من تلك المحال ما يدفعها إليه سمعة أصحابه. وتدخله من بابه. وهناك ترى الزحام في حديث وكلام. وترى الغنيات والفقيرات وما يساومن عليه من حاجيات. المحال التجارية عددها كثير. كبير وصغير أصف أكبرها. وأنعت أصغرها. الأصغر منها ضيقه مساحته ضعيفة سمعته. قليلة بضاعته. يقف المهرج على بابه. يشوق الناس إلى ما به. لعله يجد شارياً، يدني نائياً. فإذا دخل الشاري على قلته. غرق من حيرته. لأن الثمن غير محدود. والميزان غير موجود. والأمين غير معهود والسوق في نزول وصعود. فمن محص الأشياء تمحيصاً. رأى غالياً ورخيصاً. ومن لم يميز بين الغالي والرخيص. فليس له من الوقوع في الغبن من محيص. وأما الكبير منها فمثلاً سمعان. وما أدراك ما سمعان سمعة طيبة. وذكرة مطربة. وحيث يحسد الإنسان عليه الإنسان فسبحان الواهب المنان. تجد أمامه الفضاء فسيحاً. والخبر صحيحاً. هناك معنى الزحام. بمرور الترام تلو الترام. وبالراكبين والماشين

على الأقدام. ووقوف السيارات والعربات. ممتلكات وغير ممتلكات بناء يناطح السحاب. وزخرف يخلب الألباب. يدلك ما في أصونته الخارجية. على حسن مكنوناته الداخلية. فإذا دخلت بهت. وإذا نظرت أعجبت. وإذا تأملت بهرت. تجد ما تريد من الملابس. وجهاز العرائس. ومن أثاث المنازل. وما يزين المحافل. من أبسطه وطنافس وزينات نفائس. من حرير وصوف. ومن نسيج بالجودة معروف وبالاتقان موصوف. تجد الأغنياء والفقراء به سواء. لا مماكسة في المساومة. ولا مماحكة ومزاحمة. الثمن محدود. والأمين موجود والكاذب مفقود. صدق في المعاملة. لطف في المجاملة. فإذا ارتقى بك المصعد. إلى ما هو أبعد، وجدت المخيط من الملبوس وما يهز النفوس. وما تصبو إليه العروس. تطرف بها حجلتها. وتتحف بها حجرتها. ذهبية وفضية. تبلغ بها الأمنية. تجد المعاطف والقلانس. على اختلاف المقاييس. فإذا أرادت أن تقيس تجد مكاناً مستوراً. بالأمانة مغموراً. فإذا أصابت وقضت حاجتها هرولت إلى الباب. تريد الذهاب. حتى إذا عادت لبيتها. وجدت أنها قضت نهارها. وأنفقت دينارها.

رسالة إلى والدي شاعر العرب

سيدي الوالد

بعد الإجلال والإعظام. لذاك المقام. أهدي تحيتي. وأرفع ألوكتي. معنوة باسم والدي العظيم. موشحة بالتكريم والتعظيم. أسأل فيها عنك. وأتقرب بها منك. شفاك الله وعافاك. ولا حرمني رؤياك. فإذا قرأتها مرة. وأعرتها نظرة. رأيت ما أنا فيه. وعلمت بما أعانيه. ويسرني ويسرك. ألا يفوتني أمرك. أقوم بنصائحك التي أمليتها عليّ. وتعاليمك التي أوحيتها إليّ. فإذا التفت إلى نفسك رأيتني. وإذا نظرت إلى قلبك ألفيتني - أخشى أن تطول غيبتك فتطول وحشتي. وأخاف أن تزيد مسافة بعدك فتزيد كربتي. وإذا قرأت هذا الكتاب. وجدتني وأنا سلوتك الرباب. ماثلة أمامك. سامعة كلامك. أستيقظ من نومي ولا شغل لي إلا الإشراف على المكنسة. ولا همّ لي إلا الإسراع إلى المدرسة. مكبّة على درس مجدة في تهذيب نفسي. لا أسأل إلا دعاك. ولا أطلب إلا رضاك ولا أشتهي إلاّ لقاك. بارك الله لي في عمرك. ولا حرمني من عطفك وبرك. والسلام عليك. بعد تقبيل يديك. محررة هذا الكتاب ابنتك.

المخلصة رباب

وصف القاهرة ١٩٣٧

القاهرة ما أدراك ما القاهرة. مدينة زاهرة. وجنة ناضرة. تقع شرقي النيل المعظم. وتمتد إلى جبل المقطم. هي حاضرة البلاد. وما يحيط بها من أغوار وأنجاد. جمالها يبهر العيون. وصيتها به السمع مفتون. بناها جوهر الصقلي تقريباً منذ عشر قرون. على ما يقولون. عدد سكانها اليوم ألف ألف إذا حسبوا الصف إلى الصف. تجارتها بين رواج وبوار. من ارتفاع أثمان وانخفاض أسعار. وهي في الغالب متوقفة على ما تنتج أرضها في طولها وعرضها. فإذا كسدت الأولى كسدت الأخرى. مبانيها مختلفة الوضع. بين الخفض والرفع. شوارعها القديمة. ليس لها في نظر الحديث قيمة. يسير بها السائر. ويعبر بها العابر. من طريق إلى طريق. في سعد وضيق. تعاريج منعطفات. وحارات ضيقات. لا ترى فيه السماء. ولا ينطلق فيه الهواء. العثير في الصيف والوحل في الشتاء شوارعها الحديثات. جمال وزينات. لا ضيق في سعتها. ولا رقعة في منعتها. يسير بها الإنسان. من مكان إلى مكان. فلا يحس بتعب ولا يشعر بنصب. تسير بها السيارات والمركبات. فتقصر الأمد. ولا تزاحم أحد. حدائقها على كثرتها قليلة. ولكن أزهارها جميلة. ونسماتها عليلة. تنعش النفس. وتطلف الحسّ. ميادينها العامة. فسيحة هامة. يعجب بها النظر. ويطيب بها السهر. وأشهر تلك الميادين. ميدان عابدين. يقوم على أحد جوانبه الأربع. قصره الأرفع. يقيم به ملك مصر المبجل. فاروق الأول. وثانيهما فيه ممر ومخفر للعسكر. وثالثها يوصل شيخ الميادين. بعجوز الدواوين.

وهناك تجد الحكم. مفتوح الكم. تنيرها مصابيح من الكهرباء. تحاكي بنت السماء. فكأن بين هذه وتلك. تعاقد في إنارة المُلك. هذه من صنع الإنسان. وتلك من صنع الرحمن فسبحان الخالق. وسبحان الرازق.

الحلم وضبط النفس

الحلم صفة لا تعادلها صفة. ممتازة بين النفوس نفس به متصفة بالحلم يدرك المقصد. ويبلغ الشوط الأبعد. قد اتصف بأحمد الصفات من اتصف بالحلم والأناة. لا يتحلى بالحلم. ولا يزدان بهذا الاسم. في المشارق والمغارب. إلا كل كثير التجارب. بصير بالعواقب. من كان علمه دليله. وحلمه سبيله. فقد أمن النهج. وبلغ الأوج. قد يدفع الغضب الإنسان. فيثور كالبركان. ويهوى مهواه. ويقع في ما لا تحمد عقباه. ولو حلم قليلاً، لوجد سبيلاً. إلى الخلاص من الشراك. والتملص من الارتباك. كم مرة صمم الغضب وأصر وأشكل الأمر. حل الحلم في محله. وأخذ في حله. فلم يترك عقدة للأمر معقدة. ولا سحابة للشك ملبدة. لولا الحلم لشبت حروب لا يمكن ملافاتها. وألمت خطوب تطول ساعاتها. الحلم من سجايا العلماء. من سجايا الحكماء. من سجايا العظماء. الحلم خلق رضي. وحديث طلي. وذكر شهي. من شاء أن يكون عظيماً. فليكن حليماً. كم أسعد الحلم شقياً. وكم كان للظمآن رياً. وربما انعكس الأمر فكان الحلم سبباً للهوان. وعلة للامتهان فأمل قول أبي رباب فهو فصل الخطاب. قال. وما أحسن ما قال:

يحمد الصبر لا يطول وإلاّ ... كان عجزاً بين الورى مذموماً
وإذا ما الجهول طال أذاه ... فمن الجبن أن تكون حليماً

الأطوار التي تمر عليها الرسالة من حين كتابتها إلى أن تصل إلى يد صاحبها

ينمق الكاتب كتابه. ويوجّه فيه خطابه. إلى من يريد مخاطبته ويروم مكاتبته. وبعد أن يأتي على مقصده. أقربه وأبعده. من لف ونشر يختم عليه الظرف. بعناية ولطف. ويعد عنوانه ويراجع. ويشغفه بطابع. ثم يسلم ذاك الخطاب. إلى الخادم أو البواب. وبينما يسير الخادم عجلاً ويركض مهرولاً. وإذا بصندوق. في الحائط ملصوق. وضعته مصلحة البريد. للقريب والبعيد. ريثما ينقله الناقلِ. ويحتمله محتمل الرسائل ويأتي به في الوقت الأنسب. إلى أقرب مكتب. فيتعهده المكتب ويصدره مختوماً بختمه. موسوماً بوسمه. حتى إذا وصلت تلك الكتب في الوقت المحدود. إلى المحل المقصود. وزعها موزعو الأعمال على العمال. فأخذ كل عامل. من تلك الرسائل نصيباً. وأخذ الطريق بعيداً أو قريباً. وسار يحملها من هنا وهناك. ليوصلها لهذا وذاك وهكذا يستعجل المخاطب ويجد بما يستلزم الكتاب من رد ومنه تحقيق قصد. ويسرع بالجواب عن ذلك الخطاب. البريد إذن خير واسطة لإيصال الأخبار. وتحقيق آمال التجار. وخير وسيلة لاطمئنا الأهل والأقربين. النائين والأدنيين. فضل البريد عظيم. على الراحل والمقيم.

وصف شحاذ (مضار التسول)

التسول كله مضار. وكله عار وشنار. في مصر وفي غير مصر. في هذا العصر. وفي غير هذا العصر. التسول عادة رذيلة. ليس فيها أثر لفضيلة عادة قضت على أربابها بالاحتقار والامتهان. ونفرت الإنسان من أخيه الإنسان. ترى المتسول قذر الجسم. قذر الثياب. واقفاً على كل باب. يزعج السكان. ويلوث المكان. بما ينبعث من ثيابه. وما يخرج من إهابه من ذرات تعدى. ورائحة تردى. فيصاب بها من يصاب. ولا يحول الباب ولا البواب. فيحير الطبيب. ويسأل عن فلان كيف أصيب. والعدو هو المتسول. والجاني هو هذا المتجول. يبحثون عن القاتل. والمتسول هو الفاعل. الشحاذ في البلاد خطب نازل. وعلى العباد بلاء شامل. الشحاذ قذر ملبسه. قذر ملمسه ومأكله. قذر مسكنه ومنزله. الشحاذ يجهله أكثر الناس. ويعرفه أكثر دوي الإحساس. فهو مرض عضال. وداء قتال. ينفر منه السليم. يضجر منه الحليم. ويجرع منه الحكيم. ويمجه الراحل والمقيم. قد اتخذه مهنة أهل الخمول. ومن عاش في الناس من أهل الفضول. التسول كله سيئات. وكله آفات. وكثير ما أنسل الشحاذ إلى الدار. وعبث بالآثار. وصال وجال. وسرق ما وصلت إليه يداه من رخيص وغال. عندما يغفل الأهلون. ويقصر الساهون وهكذا في كل مكان وزمان. فهو بؤرة للفساد. ونقمة على العباد. هذا بعض مضاره. وهذا قليل من أخباره. وأما عاره وشناره فواقع على من في يديه أزمّة الحكم. وأزمّة القلم وأزمة المال من نساء ورجال. فإذا تآزر الحاكم الأبي. وذو اليراع

الحمى. وذو المال الغني على إيجاد الدواء الناجع. والعلاج النافع. من إكثار الملاجىء والمصانع وتطهير المواقع. قدروا على إبراء الداء العياء. وإزاحة الشقاء عن هؤلاء الجنباء التعساء. فكان لهم في الأرض والسماء من الله خير الجزاء.

صديقة

رسالة بعثت بها إلى صديقتها زوجة سفير المغرب لدى الحكومة التونسية وكانت رباب سمعت بمرضها ثم شفائها منه.

تونس في ٢٨ أيلول سنة ١٩٦٠

عزيزتي أم كلثوم:

الحمد لله الذي حقق ظني. وأبعد السوء عنك وعني. إذ حقق شفاءك. وقرّب لي لقائك. أجدني وقلبي لرؤيتك يتقد. فهل تجدين ما أجد وليس بعجيب أن تكوني مثلي في الوجد. بل العجيب ألا تكوني مثلي في الود. على القرب والبعد. علاقة وطيدة البنيان. صداقة مشيدة الأركان. بنيناها على أحسن ما تبنى العلاقة. وشيدناها على أحسن ما تشاد الصداقة. صدق ووفاء. وبعد عن الرياء. ومن كانت هذه علاقته. وتلك صداقته. فهو خليق أن يحس بما يحس به الرفيق من فرج وضيق. يسرني اليوم وقد شفيت ولله الحمد أن أذكر لك كيف كان وقع مرضك عليّ وسريان سقامك إليّ. لا يستطيع إذ ذاك قلمي. أن يصف لك بعض ألمي. أتعلمين كيف قضيت تلك الليالي والأيام. لا أعادها الله ولا في المنام. كنت إذا جن الليل ساورتني الوساوس. وأخذتني الهواجس. حتى إذا طلع النهار. سرت أستطلع الأخبار. عسى يجيىء إنسان. بما يبعث الاطمئنان لما علمت بنبأ سقامك. وحرماني من شهي كلامك. وأحسست بما أحسست به من أوجاع. وتذوقت ما تذوقته من التياع. قلت والوجد

يغلبني. والدمع يسبقني. قول ذلك الزنجي. الصادق الوفي حين علم بمرض حبيبته. وسقام أليفته. حيث قال متكئاً على الكتيب. وقلبه في لهيب وجيب:

ماذا يريد السقام من قمر كل جمال لوجهه تبع
لو كان يرضى الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجع

الحمد لله على نعمه. الحمد لله على منّه وكرمه. عزيزتي - إن لمن أعظم النعم عليّ. شفائك وعودتك إليّ. أهنىء نفسي وأهنئك بنعمة الأبلال وتحقيق الآمال.

الشركات ١٩٣٦

الشركات مبعث الثروات. لولا الشركات ما كان العمل الجليل. ولا بان من كثيره إلا القليل. لولا الشركات لظلت الكنوز مدفونة. ومواهب الإنسان بحظه مرهونة. لولا الشركات ما اتسعت دائرة الأعمال. ولا تحققت الآمال. لولا الشركات لبقيت الكثيرات من الأبواب مغلقة ومنافع المرء على الأقدار معلقة. لولا الشركات ما جلب النفع العظيم. ولا رفع الضرر الجسيم. فبالشركات امتدت سكك الحديد من قريب وبعيد وبالشركات كثر بناء البواخر. في البحور الزواخر. للتاجر والمسافر وبالشركات مهدت الطرق. وحفر نفق بعد نفق. فبأمثال هذه الطرق والأنفاق. أشرقت الآفاق. ونمت الأرزاق. وبها وبغيرها من أداة قرّبت المواصلات. وراحت الحاصلات. ولولا هذه المراكب. ما استراح الراكب. ولا تقاربت الشعوب. ولا تآلفت القلوب. ولولا التعاون في الأعمال ما نمت الأموال. فما تأتي به الشركات لا يأتي به الفرد مهما كان عظيماً. مهما كان حكيماً. مهما كان عليماً. ما تأتي به الشركات في سنة أو بعض سنوات لا يأتي به الفرد في عشرات من السنين ومئات. الفرد مهما كان فيه من فتوة. ومهما كان فيه من قوة. فهو ضعيف لا تلبث أن تنتهي قواه إزاء قوة سواه من أيدي العاملين والعاملات. أذكر من ذلك عملاً. وأضرب لك مثلاً فهذه قناة السويس لولا شركة فرنسية. وأيدي مصرية. ومساعدات فنية. لظلت إلى اليوم. في مخيلة القوم. والطريق بين الشرق والغرب مسدودة. والمسافات غير محدودة. كل الشركات عندي

محمودة. إلاّ شركة القناة، فكانت على مصر آفة الآفات. لولا الشركات ما كانت المصارف ولا تجمع تالد من المال ولا طارف. هل قام فرد بما نقوم به الجماعات. إن أكبر الثروات. وأعظم الثمرات. لا نأتي به الشركات إلا بالأيدي العاملات. ما يأخذه العمال من أجور الأعمال ليس فيه أنصاف بل فيه كل الأجحاف. لولا العامل ومواصله العمل والحركة. ما كان في الشركة بركة. وعلى كل حال فالمال هو السعادة ولا سعادة بغير المال.

رسالة إلى صديقة تدعوها إلى زيارتها في الإسكندرية

صديقتي الصادقة. عزيزتي فائقة

أُحييك وأنا في الإسكندرية. في عيشة رضية. أقيم في قصر. مشرف على البحر. تحيط به جنة فيحاء. وحديقة غناء. ذات أوراد وأزهار. وأشجار وأطيار. منظرها يقر الناظر. ويسر الخاطر. لا ريح سموم. ولا تراكم هموم. بل الهواء بليل والنسيم عليل. والظل ظليل. جئت إلى هنا. هزيلة من وصب وعناء. وفي مدة لا تزيد على الشهر. حيث ارتاح الفكر. تحسنت الحال. واطمأن البال. وكل توعك زال. وزاد وزني تسعة أرطال. ولا أشكو إلا شيئاً واحداً هو بعدك عني ولا أتمنى إلا شيئاً واحد هو قربك مني. وكم كنت مغتبطة لو التفت فألفيتك وسرحت نظري فلقيتك. وهذه فرصة سانحة. أن أدعوك لتمضي معي أيام المسامحة. وأرجو ألا ينقضي هذا المساء. ألا وقد تحقق الرجاء وكنا في أتم هناء وصفاء. أقصر ولا أطيل. وإلى سواك لا أميل. أقبلي دعوتي وسلامي. وتماثلي أمامي. منمقة هذا الكتاب صديقتك المخلصة.

رباب

كتاب عتاب لصديقة ١٩٣٦

سلوة نفسي في الحياة. حياة مسراتي حياة.

أحييك تحية لم تشبها شائبة رياء. وأعاتبك ولكن على استحياء. أرسل الكتاب تلو الكتاب. وأستجوب ويا للعجب العجاب فيكون الجواب عدم الجواب. خله لم أعهدها. وسجية استبعدها، أن تكون يوماً من الأيام. حتى ولا في المنام. من خلال الزهور. وسجايا الحور اتهمك بالقطيعة وأعيذك من الجفوة. وأنسب لك الأعراض وأحاشيك من الهفوة. فمن كان صادقاً في ودّه. ثابتاً على عهد. يعلم أنه مهما كانت المقادير. ومهما كانت المعاذير. ومهما كانت الأسباب. فهي لا تبرر مقاطعة الأحباب. أعود فأسأل عن ساع سعى. أو داع دعا لابتعادك عني. ونفورك مني. وجرّك لهذا الزهو والكبر. ودفعك إلى المبالغة في الهجر. فلا أرى إلا غناك. من مال تنعمين فيه. وجمال تتباهين به فسبحان الذي أعطاك. وسبحان الذي سواك. وسبحان الذي على القلوب ولآك. كل هذا لا يبرر معاملتك لي هذه المعاملة. لصديقة تجاملك في الإخلاص خير مجاملة. مهلاً يا صديقتي. مهلاً يا عزيزتي. لئن تداخلك شيء من الزهو. وأمعنت بما ملكته في اللعب واللهو. فما أنت بأول واحدة ملكت مالاً. ولا بأول واحدة ملكت جمالاً. تعالي فهذا يوم المكرمة. لئن كان لك ثروتان. ثروة من مال. وثروة من جمال. فلي ولا فخر. أينما يحلو الذكر. ثروات طائلات. ثروة من أباء. ثروة من شمم. ثروة من حياء. ثروة من كرم. ثروة من عزائم. ثروة من طيبات. ثروة من أعمال صالحات. ثروة من

صالحات خالدات. ثروة من أدب. ثروة من نسب ثروة من حسنات لا تعد. ثروة من مكرمات لا تحد. أينا يا عزيزتي في مضمار الفخر أسبق. وأينا يا عزيزتي به الفخر ألصق. أما ما ملكته فعرض زائل. وأما ما أملكه فجوهر ثابت. وشتان بين الجوهر والعرض. وشتان بين الصحة والمرض.
ـ دعينا مما يرنق صفو الحياة يا حياة. ولنعد إلى أطيب الذكريات. أعتذر إليك. مما شننته عليك. في هذا الكتاب من عتاب. وأن أنصفك الود رأيتك بريئة من كل ذام وعاب. عاتبتك عتاباً ليناً. وخاطبتك خطاباً هيناً. وقول القائل. أمامي ماثل:

إن حـظـي أنـالـنـي مـنـك هـذا فـعلـى الـحظ لا عـليـك الـعـتـاب

ثقي بمودتي. واطمأني لعشرتي. فلقد تملكت مني ما لم يتملكه سواك وحللت من قلبي محله لم يحلها الاك. فإن كان لغيرك شغافة فلك شغافة وصميمة ولئن كان خصوص وعموم فلك خصوصه وعمومه. فأهنىء يا حياة في الحياة. وعيشي لصديقتك المخلصة.

رباب

المال ١٩٣٥

في المال ضرر ونفع. ورأب وصدع. ولكن نفعه أكبر. وخيراته أشهر من أن تذكر. بالمال يكثر النسل. وينشأ الطفل. وينمو العقل. ويلم الشمل. بالمال يصل الإنسان. إلى ما لم يكن في الحسبان. بالمال يقاوم الحدثان. وتؤمن صروف الزمان. بالمال يفصح اللسان. ويأتي بالمعجزات من البيان. بالمال يقترب البعيد. ويبتعد القريب. ويجيب من لم يكن بالمجيب. ويعود حبيباً من لم يكن بالحبيب. بالمال تؤمن المنازل. وتدفع النوازل. وتشاد المحافل. وتحل المشاكل. بالمال تبنى الأساطيل. وتفعل الأفاعيل. في كل عصر وجيل. بالمال تعظم الأخلاق. وتصوغ شذاها في الآفاق. بالمال يؤمن العثار. ويحرز السبق في كل مضمار. بالمال تذلل الصعاب. ويعمر الخراب. بالمال يكثر المال. وتصلح الأحوال. وتتحقق الآمال. ويحسن المآل. للنساء والرجال. بالمال تحفظ الكرامة. وتثبت الزعامة. بالمال يشتفي الغليل. ويشفي العليل. ويمهد السبيل. ويصبح القليل غير قليل. وبالجملة على ما في هذا قلة فإن حسنات المال لا تعد. وفوائده لا تحد.

وأما ضرره فمهما أجملت في التفصيل. فهو غير قليل. المال رأس المصائب ومبعث الغرائب. الزارع العداوة بين الأقارب. والمفرق بين الصاحب والصاحب. المال مصدر الغرور. ومبعث الشرور. ومنبع الفجور. ومشرع الكذب والزور. ومسبة العصور. بالمال تشب الحروب. وتكثير الخطوب وتزهق النفوس. وتستذل الرؤوس. بالمال يكثر الانتقام.

ويضطرب أمن الأنام. لولا المال ما كان الطمع. ولا كان الخوف والفزع. لولا المال ما وثب الغرب على الشرق. ولا اعتدى الباطل على الحق. ولأعطى كل ذي حق حقه ونال كل ذي رزق رزقه. وليت شعري ماذا أقول والله هو المسؤول وهو الفعال لما يريد. وهو على كل شيء شهيد.

أحسن ما شاهدت

أحسن ما شاهدت، وأجمل ما رأيت. ما كان إلى الوصف من شغف فليصخ إلى ما أصف. كنا تسكن في دار. من أبدع ما صنع المعمار، تحيط بها من جهاتها الأربع. رياض ما أجمل وما أبدع. في كل جهة خميلة. بديعة جميلة. مورقة الأشجار. يانعة الثمار. متنوعة الأزهار. يضوع شذاها فيلفت الأنظار. يعبق روضها النضر. عن زهرها العطر. من فيصوم وحوذان. وياسمين وأقحوان. ونفل ورند. وقداح وورد. وبهار ونوار وشقيق وجلنار. وكانت لي حمامتان اثنتان. يصبحان ويمسيان. يغردان فيشجيان. كأنهما يقولان. في الغبوق والصبوح. قدوس صبوح. غبت عنهما يوماً وبعض يوم. وجئت إليهما عند استيقاظي من النوم. وإذا في القفص حمامتان. وزغلولان يوصوصان. يكنفهما جناحان كي لا تراهما عينان. فما أجملهما حين يزقان. وما أجملهما حين يرفرفان. وما أحلاهما حين يريشان. وما أسماهما حين يطيران، يذهبان ويجيئان وغير الوفاء لا يعرفان. وغير البر بالوالدين لا يبغيان غبت عنهما. ورجعت إليهما. بينا هما محميان. إذا هما محاميان يحميان. مات الأصغر. وبقي الأكبر يصول ويجول. في ذات العرض والطول. حتى أفسح الزمان له صدره. وولاه أمره. ولست أدري ماذا أقول. وما عساني أن أقول. في وصف طيري الزغلول. وما لبث من طير صغير. حتى عاد من أعظم الطيور. تعنو له أعاظم البزاة والنسور. ويذاع صيته في المعمور. وتصبو لذكره الأكواخ والقصور حتى أصبحت الآمال تدور حيث يدور. وتطير حيث

يطير. وتسير حيث يسير وأصبح اسمه حامي الأوكار. وزعيم الأطيار. ومنية الأمصار. ومحي الشعور ومبعث النور في الصدور. ومالك أزمة القلوب. في سائر الشعوب. وما زلت أهواه ويهواني. وأرعاه ويرعاني. حتى قضى نحبه. ولقي ربه. تاركاً عندي نار اللوعة والأسى. تشب في كل صباح ومساء. هكذا من أحسن تربيته الأبوان وأحسن تهذيبه وتدريبه الزمان. وطبعه طابع العطف والحنان. فهو لا ينساه إنسان. ولا يخلو من ذكره مكان. هذا ما شاهدت ورأيت. وبهذا الوصف اكتفيت. فهل أحسن مما شاهدت وأجمل مما رأيت.

خواطر

إلا أن التردد والتهاون. في التكاتف والتعاون. على دفع الأحداث وتهذيب الأحداث. والأزمة الطاحنة. في الحالة الراهنة. وعدم القيام بما أمر به الشرع الشريف والدين الحنيف. والشروع من غير مشرعة وضع الشيء في غير موضعه. سبب في كثرة الجرائم. وقلة الغنائم ليس هذا كله سبب الاضطرابات. والباعث على ارتكاب الجنايات. بل السبب الأكبر فساد الأخلاق. التي فشت في المنازل والأزقة والأسواق. في الجهال والمتعلمين. ذوي الغايات. بل المتعلمون أشد خطراً على الهيئات. وعلة العلل هو كثرة العمال وقلة العمل. لولاهم ما عمت البلية. ولا عزت الأمنية. يجب على الإنسان. في كل زمان ومكان. أن يأخذ عدته من حذر يقيه شر البشر. وغير البشر. يجب عليه. أن يجعل اليقظة أمام عينيه والرقدة وراء أذنيه. فلا يتأثر بقول قائل. ولا يعبأ بفعل فاعل. هذا يصف الأمان. وذاك يتحدث عن الاطمئنان. سيما في هذه الأيام. المزدحمة بصنوف الحوادث الجسام. من احتيال ونشل. وسرقات وقتل. فمن أراد أن يكون آمناً في نومه ويقظته. آمناً في سره وجهرته. آمناً في سيره ومقامه. آمناً في ليله ونهاره. آمناً في داخل داره. وخارج داره. آمناً على جاره. آمناً على آثاره. آمناً على ديناره. فليدع سواي وليترسم خطاي، فأنا لا أجهل ما وراء الغفلة. ولا أعلم كالمغرور في جلب الشرور من علة. إذا سرت في الطريق. من رحب وضيق. أسير مع الروية والعقل والكرامة والنبل. التفت يميني وشمالي. واضعه يدي على حافظة أموالي. فلا أجعل

إليّ مجالاً للمتسولين. ولا ميداناً للمتشردين. إذا رأيت رخاماً تجنبته. وإذا رأيت مشاجرة وعراكاً اتقيته. فإذا ظهرت من سارق ظاهرة أو بدرت بادرة. إلى الشرطي الواقف سلمته. وإلى التحقيق أحلته وهلم جراً. حيطة وحذر. حتى أبلغ إلى منزلي. وأنتهي إلى معقلي. أتفقده من الخارج. وأتفقد كل ما يصل إليه من مخارج. حتى إذا سرت إلى الداخل لا يشغلني شاغل. أوصد الأبواب والنوافذ، وأجعل من عيني في كل جهة عائذ. فلا أدع باباً مفتوحة. ولا عيناً إليه من ريبة طموحة. مرفوع على الهداية علمه. مجبول على الأمانة خدمه. راسخ بنيانه. قائمة على الصلاح أركانه. ليس فيه لخادم امتعاض. وليس له فيه اعتراض. أنا منه آمرة ناهية، ليس تخفي فيه عليّ خافية. محفوظة آثاره. محجوبة عن الخدم أسراره لا يجد اللص من الخارج إليه حيلة. ولا من الداخل وسيلة. فمن كان فيه كان في أمان. فليس لغيري فيه سلطان.

العواصف الهوجاء التي تأتي على الريح والضرع

ما أجل المصيبة والناس في غفلتهم. وما أعظم البلية إذا حلت الناس في رقدتهم. وما أفظع الحادثة إذا فاجأت. وما أحض الكارثة إذا باغتت. استيقظت من النوم. في صبيحة يوم. وإذا بالبرق ينبض. فيعرض ما يعرض. وإذا البرد تبث. والأنباء تنث. وإذا الأسى تشب نيرانه. والجوى ينفجر بركانه. وذلك لما حدث فجأة. وما جرى بغتة. في مديرية الشرقية. من عظم البلية. فبينما كان سكان تلك الناحية. في عيشة راضية. وفي بلهنية منعمين آمنين مطمئنين. إذا رياح عواصف ورعود قواصف. وبروق خواطف. ما هدأت تلك الأعصار. وانجلى ذلك الغبار. إلا وتلك الديار الآمنات. يباباً مقفرات وتلك الأسر الآمنات. حيارى ذاهلات. فلا مأوى يؤوي إليه. ولا معول يعوّل عليه إلا رحمة الله وهمة المحسنين. وحاشا للجواد الكريم. أن ينظر إلى هذا الإقليم. وما حل به من كارثة. بيد الأقدار العابثة. ولا ينفطر قلبه. ولا يطير لبه. بارك الله في المحسنين. وهم ذخر المنكوبين. وسند المصابين أيها الأغنياء الموسرون أنفقوا مما رزقكم الله من مال. وأنقذوا إخوانكم الذين كانوا في حال. وأصبحوا في حال. لقد كان وقع الخبر. عن ذلك القدر ما أدهى وما أمر. لا أظن من بني الإنسان. من يرى إنساناً نكبه الزمان وأصبح في يد الحدثان. مهدم الأركان. ولا يمد له يد الإحسان. ولا يكون له من الأعوان. أيها الأغنياء

الموسرون. أدركوا الأطفال. أدركوا النساء والرجال. وتذكروا أن دوام الحال من المحال. وأعلموا أن الله يجزي المحسنين ويجزي عبادة الصالحين.

رسالة إلى والدها تعتذر عن تقصيرها في دراستها

لو كانت لي قدرة والدي شاعر العرب. وإمام أئمة الأدب. لو كانت لي قدرة والدي مفخرة العصر. ومعجزة الدهر. لو كانت لي قدرة والدي حجة الزمان ودرة تاج البيان. لو كانت لي قدرة والدي على صوغ الكلمات. وجعلها آيات بينات. والاتيان متى شاء منها بالمعجزات. لجمعت كل لفظ فيه معنى العظمة والجلال. والفضل والكمال. ونسجت منها تحية سداها الإخلاص والصدق. ولحمتها الحقيقة والحق. ورفعتها بكل تجلّة واحترام. إلى مقامه وهو عندي أسمى مقام. لو كانت لي قدرة والدي لعرفت كيف أرفع إليه المعذرة. وكيف أسأله المغفرة. لو كانت لي قدرة والدي لعرفت كيف أقف أمامه صاغرة وهو ولي أمري. وعرفت كيف أعترف بتقصيري وفشلي في امتحاني الشهري. لو كانت لي قدرة والدي لعرفت كيف أعده بمضاعفة الجد. أو أبلغ القصد. لو كانت لي قدرة والدي لعرفت كيف أدخل عليه السرور بما تنشرح له الصدور. وتدور السعادة حيث يدور. من جد مذكور. وسعي مشكور. واسم ينحني أمامه سائر المعمور. لو كانت لي قدرة والدي البريء من الكبوة والبريء من الجفوة. البريء من الهفوة. البريء من القسوة. لو كانت لي قدرة والدي لعرفت كيف أرتفع إلى السماء. وأجعل كلماتي كواكب الجوزاء لو كانت لي قدرة والدي لبزرت الحكماء. وبزرت العلماء. بما يدهش العقول في

المعقول والمنقول. لو كانت لي قدرة والدي لعرفت كيف أرجع مشمولة برضاه مشمولة بدعاه. مشمولة بحسن جزاه. شفاه الله وعافاه وحقق له ما يهواه لي ويتمناه.

محررة هذا الكتاب ابنتك المخلصة

رباب

الطيران وأثره في تقدم الحضارة

الطيران وما أدراك ما الطيران. هو معجزة الإنسان. وأعجوبة العصر والزمان. وأول من فكر بالطيران. من بني الإنسان. وأول من ابتكر هذا الفن. وأدهش بابتكاره الناس. الفيلسوف الإغريقي أرختياس. لقد صنع لتحقيق فكرته حمامة آلية. ولكن قبل إكمال مخترعه أدركته المنية. وثاني من جل في مضماره. وأدهش ذوي الابتكار بابتكاره. هو العربي الأندلسي صاحب الهمم والعزائم. عباس بن فرناس أبو المكارم. فقد صنع لنفسه جناحين. يطير بهما في المشرقين. وقد صحت عزائمه. وتمت خوافيه وقوادمه. ولو أنه عاش لكان اختراعه في بناء الفن خير أساس صنع جناحين وطار بهما. ينتق من دار إلى دار. يصل الأقطار بالأقطار والأمصار بالأمصار. لو لم ينس تكميل نفسه بوضع الذنب. لنجا من السقوط ولما أدركه العطب. وهكذا إذا أصر القدر. أعمى البصيرة والبصر. وسلب عقول البشر. والمجلى الثالث في هذا الميدان هو الفرنسي فرنسيان. صنع أنبوبة. فكانت أعجوبة. أنبوبة غنية عن التعريف ملأها بغاز خفيف. فطارت ومن هنا بدأ استعمال المطاود. وبدأ لصاحبه تحقيق الأمنية باستعمال المطاود في الحرب السبعينية. وبدأ العمل الجد. لبلوغ القصد. من ذلك العهد. وقد أحرز الطيران. فصب الرهان. وقد شيد بناؤها الأسمى. في الحرب العالمية العظمى. يا لهول تلك الساعات والأيام. والشهور والأعوام. كم دمرت حصوناً وقلاعاً. وكم غيرت أشكالاً وأوضاعاً. وكم دكت جبالاً. وكم هدمت وصرعت أبطالاً. وكم

رمّلت نساء. وأيتمت أطفالاً. وكم فتكت يميناً وشمالاً. وكم قصرت آجالاً. وكم وكم غير هذا من أهوال وشفاعة الفعال. مما تقشعر لذكره الأبدان. ويعجز عن وصفه اللسان. وأما في السلم مما هنالك. على العكس من ذلك. على العكس من تلك المزعجات. على العكس من تلك الأفعال السيئات. فقد عادت حسنات طيبات. فقد أصبحت جامعة بين الشرق والغرب. ماحية للسلب والنهب. فما أحلاها في الغرب. تذهب ويجيء سرباً بعد سرب. في القرب والبعد. وما أحلاها حين تمسح الأرض ذات الطول والعرض. بينما هي أداة خراب في الكفاح. إذا هي أداة عمران ونجاح. وكم في الإمكان أبدع مما كان.

تأثير أخلاق الأم في أخلاق الأمة

تأثير أخلاق الأم على أخلاق الأمة كبير. لا يعادله تأثير. تأثير أخلاق الأم على أخلاق الأمة. تأثير الشمس المنيرة على الدياجير المدلهمة. ما من أمة عظمت أخلاقها. ألا أتسع نطاقها. وربحت أسواقها. وعم الميادين سباقها. وأعجز السابق لحاقها. وأشرق السعد في جميع آفاقها. فمثل هذه الأمة الأم مصداقها، أخلاق الأم أصل في الأخلاق. وعلى مقدار الأخلاق يكون مقدار الرباح. والنجاح والفلاح. وعلى مقدار الأخلاق تصل الأمة إلى الأوج وتجيء فوجاً بعد فوج. فلا عظمة ولا رقي ولا تقدم. ولا علم ولا فهم. هذه كلها ليست بالمغنيات إذا لم تمت إلى الأخلاق بسبب من الأسباب. فإذا لم تكن الأخلاق فكل هذه ألفاظ ليس لها محل من الأعراب. الأمة جميعها. هي الأم بمفردها ومجموعها. تلد الأم وتتعهد ولدها رضاعاً وفطاماً. طفلاً وغلاماً. فإذا كانت صالحة صلح. وكان مصيره هدى ورحمة. ونما على الصدق والأمانة. وحاد عن طريق الكذب والخيانة. وكان شجاعاً أبيّ النفس. حمى الأنف. ومن نمت فيه تلك الصفات. سلم في الحياة من جميع الآفات وعرف كيف يحفظ نفسه وأهله وبيته. وكيف يصون كرامة وطنه بين الأوطان في كل زمان ومكان. وإذا كانت الأم طالحة طلح. وكان ضلال ونقمة. والأمة لا ينكر أحد. إنها مجموعة من هذا الولد. إذا عرفنا ذلك واتضح ما هنالك. عرفنا أن الأم هي تارة رحمة. وأخرى نقمة وبالجملة فالأم رأس كل شيء. شفاء وعلة. فلتكن للفضيلة باباً وللخير ميزاباً وللمجد أساساً. وللهدى نبراساً.

الطيران خير جزيل وشر وبيل

الطيران خير جزيل. وشر وبيل. الطيران من خلق هذا الزمان ومخترعاته الخير والشر صفتان لازمتان من صفاته. بينا هو خير عظيم. إذا هو شر جسيم. خيره إذا حل فقد حلت البركات. وانجلت الأزمات. وراجت التجارات. من صناعات وغير صناعات. وذلك بفضل تقصير المسافات وتقريب الشاسع من الطرقات. فهو كالسنوات. لا يخاف أية آفة من الآفات أو عقبة من العقبات. الطريق معه أمان في كل زمان ومكان. إذا أراد دنت النائيات. وتجاورت القاصيات. إذا قصد أي مقصد. لا يقف في وجهه أحد هذا بعض ما لخيره إذا جاد. وعليه وعلى حسناته اعتاد. وعم الأغوار والأنجاد وأما شره الجسيم. فألم أليم. وداء مقيم. وخلق من جهنم القديم. فإذا نزل ذلك الشر. فرح الآمر. وقصر العمر. وأصبح خراباً. والآهل قفراً يباباً. إذا جاء يومه فهو كلمح البصر. يعود معه كل ورد وصدر. قطعة من سقر. يومه يوم الهول الأعظم. والفزع الأكبر. كأنه يوم ينفخ في الصور. يوم ترتعد فرائص الأبطال من هوله. وتندك رواسي الجبال من ذكره. وقى الله كل فرد وكل شعب وكل قوم. شر ذلك اليوم. إذا كان يوم شره لا كان. رأيت كيف تبدل الأرض غير الأرض. وكيف ينكر الإنسان أخاه الإنسان. ويصبح الأمان في خبر كان. هذا وربما كان. ما ليس في الحسبان. هذا بعض من كل. إذا خيره أو شره نزل. هذا هو الطيران وهذا حلوه ومره. فما أحلاه وما أمرّه.

وصف حفلة افتتاح الدراسة بالمدرسة

لا أستطيع وصف خواطري. أو التغلب على مناظري إلا إذا فصلت القول ونمقت الشكل. وألممت بالبعض والكل. كيف أستطيع ذلك. والمجال دون ما هنالك. رحيبه ضيق. وريقه غير ريّق. كنت قبل دخولي الامتحان. ونزولي في الميدان. تارة أتردد. وأخرى أتنهد. خوفاً في الأسئلة من إرهاق. وخوفاً من الأجوبة من اخفاق. وكانت خواطري تجول. ولسان حالها يقول. يا حبذا لو تم لي النجاح. ويا حبذا لو تم الفوز والفلاح. فأعود إلى المدرسة. التي فيها زميلات مجدات. وصديقات وفيات. ذللت الصعوبات وجزت العقبات. وأخذت في الأهبة. لتحقيق الأمنية. وفوزي بالرجوع إلى مدرسة الأميرة فوزية. التي أجل ناظرتها. واعترف لها بالفضل. ووفرة العقل. واحترم أساتذتها الأفاضل. ومدرسيها الأماثل. هنا ولم تكد تنقضي بضعة أيام على ظهور نتيجة الامتحان. إلا وقد خففت إلى المدرسة لأكون أول القادمات إليها. جملة القول. إن أول يوم بعْد غيبة حول. جعلني آخذ العدة. بعد طول تلك المدة. وما كان يوم الجد والعمل. إلا كانت الأشواق تسبقني. والاعتراف بالجميل ينطقني. تدفعني الأشواق حيث المشوقات يتدافعن نحوي. من كل مكان. وفي كل ركن من الأركان. وكأني وأنا الغنية عن التعريف. إحدى بنات الريف. جاءت لتدفع المصاريف. وتتعرف التليد والطريف. وما وطئت قدمي ذلك البهو. ونحوت ذلك النحو. إلاّ وسمعت أصوات الترحيب. تصمم الآذان. من كل مكان. من الباب إلى المحراب. كلها

نغمة واحدة تقول هذه رباب. عادت إلينا رباب. أهلاً برباب. وأهم ما شاهدت عند دق الجرس. حفلة تقام في حديقة المدرسة الغناء. وروضتها الفيحاء. فائدتها غير قليلة. تقام تحت رآسة ناظرتنا الفاضلة. حضرتها هيئة التدريس وشغف السمع فيها كل قول نفيس. خطبة بليغة. تحث على مكارم الأخلاق. وحسن الطباع. والجد والعمل. والتحلي بكل فضيلة. وعلى ذلك انقضت الحفلة وبدأنا نتلقى الدروس. من يبهج النفوس.

رسالة تهنئة إلى صديقتها

دعاني اليوم إلى هذه الكلمة الوجيزة. شوقي إليك وأنا في مديرية الجيزة على ضفاف النيل. والطقس جميل. والهواء يشفي الغليل. أسرح النظر تارة في روعته وجماله. وأخرى في عظمته وجلاله. لأغترف من سلسال حياضه. وأجمع من بدائع رياضه. ما يصح أن أجعله باقة أسميها. تهنئة أهديها. وتحية أسديها. كل أمنيتي أن تقبل تهنئتي. فإن قبلتها عزيزتي كانت في كل عيد. تهنئة وسروراً للقريب والبعيد. ذكرتك وأنا في حديقتي الغناء. وروضتي الفيحاء. حيث رفعت رأسي لأراك. فرأيت أخاك وهو ينظر إلى ذاك الجبين ويقول في خشوع. تبارك الله أحسن الخالقين. ثم ذكرتك وأنت تنظرين إلى السماء وقمره والنور وخيره وأمعنت في تلك الشمائل. فتذكرت قول القائل:

رأت قمر السماء فذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعيني

هذا ولولا أني لا أعرف مقرك. لبادرت إلى تهنئتك. وتمتعت بطلعتك. وأنا الآن لا أطلب إلا رضاك. ولا أشتهي إلا لقياك أسأل الله أن يرعاك في صباحك ومساك.

رباب

عاقبة الغرور ١٩٣٢

عاقبة الغرور وخيمة. وهيناته عظيمة. وما مثل الغرور في المهلكات ولا شرواه في الفاجعات. كم جر الغرور صاحبه إلى الهاوية. وكم أسلمه إلى الداهية وكم أبعد الصديق عن الصديق. وكم أضل سائراً عن الطريق. وكم خرب من الديار عمراناً. وكم أذل بعد العزة إنساناً. وكم زين للنفس الشر وأبعدها عن الخير. وكم قبح الحسن واستحسن القبيح. وكم أبى قبول النصيحة. وقيل معميات غير صريحة. وكم زين الوردة وقطفها وأذاق النفس حتفها. وللغرور أمثال كثيرة. تضرب في كل كبيرة وصغيرة فمن ذلك ما يحكى أن فتاة خرجت من منزلها والصبح ساطع. وبعدت عن منهلها والربيع طفل يافع. وجاءت روضة زهرها نضر. ونسيمها عطر وعنت لتجمع من وردها طاقة فطاقة لتضمها إلى بعضها وتجعلها باقة. تزين بها حجرتها. وتُحلي بها غرفتها. فصاح بها البستاني إياكي والتداني من هذه الشجرة. فكم مات دونها البررة. فإذ بها من الحشرات. ما دونه المهلكة. فأخذها الغرور. وجرها إلى العثور. فلم تستمع منه نصحاً. ولم تغتنم لها ريحاً. إذا أمعنت في تلك الخميلة. فرأت وردة جميلة. ودنت إلى قطفها ساعية بظلفها إلى حتفها. فلسبتها أفعى بأنيابها، وسقتها كأس صابها. فأردتها قتيلة. إلى جانب تلك الخميلة فراحت صريعة غرورها أو درية عثورها. وهكذا عاقبة الغرور وهكذا نتيجة المغرور.

وصف المدرسة ١٩٢٩

المدرسة هي صرح يشاد لتحصيل العلم وتدريسه وهو كغيره من الصروح إلا أن هذا ينار بأنوار العلم والعلماء وتلك تنار بمصابيح الغاز والكهرباء فمدرستي اليوم هي درة المدارس وعروس العرائس. واقع طرفاها على شارع الكنيسة والكرنك. ولها بابان باب معد اليوم لدخول التلميذات وخروجهن. وباب لم يتم تعميره ليكون مدخلاً ومخرجاً ولها سور حديدي دقيق الصنع وسط بين الارتفاع والانخفاض. يشرف منه الخارج على الداخل والداخل على الخارج. ولا أقول لها بهو لأن البهو لا يكون إلا مسقوفاً بين الباب والساحة وربما انتهى الداخل إلى البهو يرتفع عن الساحة بضعة سلالم على جانبيه غرفتان ثم تنتهي إلى ممر واسع فيه أربع غرف ثم ممر آخر أقل سعة من الأول فيه غرفتان فمجموع الغرف في الممرين والبهو ثمانية إحداهما للناظرة وثانية للكاتب وثالثة للمعلمين ورابعة للمعلمات. وخامسة للصيدلية والحكيمة هذا هو الطابق الأول. أما الطابق الأدنى فيحتوي على مطبخ معد لتجهير الطعام. والطابق الأعلى كله معد للتلميذات وتلقي الدروس.

فوائد الورق ١٩٢٩

للورق فوائد جمة. يتوقف عليها العمران. ويأتمن الإنسان أخاه الإنسان لولا الورق لتبعثر التاريخ ولا عرف عطارد من المريخ. لولا الورق لتشتتت العلوم. وعبث بالحقوق. ولتحكم إنسان بإنسان ولا كان هناك تصنيف ولا تأليف ولا عرف الحق من الباطل. لولا الورق لما استقامت الحكومات ولا ائتلفت الهيئات. ولا تواصلت الأفراد والجماعات. ولا كان هناك ضبط ولا ربط ولا تحقيق ولا تدقيق، ولولا الورق ما انتظمت المعاملات ولا وقف الحاضر علىٰ الغائب ولا الغائب علىٰ الحاضر. ولولا الورق لانقطعت الأخبار وطمست الآثار وكسدت تجارة التجار. في القفار والبحار. ولولا الورق ما عرفت القارات ولا عرف الأحياء من الأموات ولا اكتشفت الكنوز في الأرض ولا عرفت النجوم في السماء. هذا بعض ما للورق من فائدة وعلى مثل هذا تسير القاعدة.

وصف حديقة منزلها ١٩٣١

حديقة منزلي فيحاء، فسيحة الأرجاء، تضوع فيها الأزهار وتغرد فيها الأطيار في الليل والنهار، تنقسم إلى ثلاث خمائل كل واحدة منها تستوقف النظر وتجلي البصر، بزهرها النضر وأريجها العطر وتنسيقها المبتكر. تكتنف المنزل من ثلاث جهات فتجمع فيه كل شتات. ثغور باسمات خدود ناعمات، قدود مائسات من أقاح ونوار، إلى ياسمين ونرجس وجلنار. أذهب وأجيء. وأثوب وأفيء. وهي في طريقي في صبوحي وغبوقي، فإذا استيقظت من نومي، ونام أمسي في يومي، وبعثتُ ببصري، وسرحت نظري. رأيتُ ما يخلب اللب وينعش القلب. رأيت ملوكاً من الطير. ترفرف على أرائك من الزهر. مبنية بقوائم من لجين ودعائم من عسجد. تحمل تيجاناً من زمرد فوق عروش من زبرجد. فلا أملك إلا أن أقول. سبحانك اللهم خالق الخلق باسط الرزق. واهب الإنسان من القدرة ما ليس في الإمكان. فكأن الديدبان. ما كان بستانياً بل كان رساماً مبدعاً جمع في قلمه بدائع الأزمان. وأحاسن الألوان. فرسم لنا جنة فكانت آية من الإبداع. ودبج في هذه البقعة. روضة فكانت فتة البقاع. وطوقها بطوق جماني. ووشحها بوشاح أرجواني وتوجها بتاج ملوكي. وكللها بأكليل من غار وعوذها بتعاويذ أسماها غراراً ورنداً. وبهاراً ووردا. وشقيقاً وأقحواناً. ونفلاً وجوذاناً أو كأنه كاتب مجيد. نشر في مسرح الأنظار. صحيفة تجلب الأنوار هذا ما جادت به قريحتي السمحاء. في وصف حديقتي الغناء. ورفيقتي في الصباح والمساء.

فوائد تعليم البنت

فوائد تعليم البنت عظيمة. تصغر عندها كل فائدة. إذا تعلمت البنت ميزت خيرها من شرها. ونفعها من ضرها. وعرفت قيمة شرفها وكرامتها. لا تعادلها قيمة ولا تقبل المساومة بمال من الأخوال. عرفت قدر نفسها وغيرها فهي لا تظلم ولا تظلم. وعرفت كيف تحمل النفوس على احترامها. وكيف تدفعها إلى إكرامها وإعظامها. إذا تعلمت البنت عرفت حقوق والديها وحقوق المعلمين والمعلمات، والمثقفين والمثقفات، فما أكثر فوائد تعليم البنت وما أجلها وما أسماها وما أفضلها. لا تنتظم العائلة ولا تدفع عنها القائلة ولا تصان الأموال ولا تصلح الأحوال ولا تتثقف الأخلاق. ولا تروح الأسواق. ولا تهدأ الخواطر. ولا تقر النواظر. ولا تتاح المنعة ولا تحسن السمعة. ولا يكبر العقل ولا يتم الفضل ولا تتهذب الأقوال ولا تحمد الأفعال ولا تنجح الأعمال. ولاتتحقق الآمال ولا يحسن المآل. للنساء والرجال. ولا تدفع الخطوب. ولا تستقل الشعوب ولا تسود الأمم ولا تغلو القيم. ولا تعلو الهمم. ولا ينبت الإباء والشمم ولا يعم اليأس والكرم. ولا تعرف الحرم. ولا تحفظ الذمم. ولا تطمأن البلاد. ولا تأتلف العباد ولا ينمحي العار. ولا يكرم الجار. ولا تكثر الأبرار والأخيار. ولا تستأصل الأشرار والفجار. ولا تتنافس العلماء ولا تتسابق الفضلاء. ولا ينبغ الشعراء. ولا تبرز الأدباء ولا يتدبر الفكر ولا يطيب الذكر. ولا يسلم الموصول من البت. إلا بتعليم البنت. إذا تعلمت البنت حصنت منزلها بنتاً وأماً. وجملته فضلاً وعلماً. ونسقته تنسيقاً بديعاً.

وجعلت عماده رفيعاً. وصرحه منيعاً. وطهرته من الدنايا. وعوذته بالمزايا. إذا تعلمت البث عرفت كيف تحفظ بيتها من البوار. وسمعته من الدمار. بما تقتصد فيه لنفسها. ولا تسرف من أكلها وشربها ولبسها. إذا تعلمت البنت حين تصبح أماً. كيف تسيغ لبنها. وكيف ترضع ابنها. وكيف تحفظه من الحر والبرد. ومن آفات لا تحصى ولا تعد. وعرفت كيف تجعل جسمه سليماً. وعقله عظيماً. بما تريه من نور، وما تملي عليه من شعور وما تبعده عنه من سموم الجهل القاتلة. وما تقربه منه وتحببه إليه من أخلاق فاضلة كالصدق والأمانة والوفاء والثبات والإقدام والحلم. والبأس والكرم والعمل والسعي والجد والإيمان وعدم الاتكال في الأمور إلا على الله وعلى نفسه. فينشأ الوليد ويشبّ على هذه الأخلاق حتى إذا كان رجلاً نفع نفسه وأهله وأمته ووطنه، فإذا مدت للفخر بالعلم الموائد فهذا ما لتعليم البنت من فوائد ولولا ضيق المجال لما قنعنا عن التفصيل بهذا الإجمال.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

النفوس الكبيرة كبيرة الآمال. جليلة الأعمال. بعيدة الطموح. في الغبوق والصبوح. تواقة لإحراز العلياء. وأحاسن الأشياء. جوالة في كل ميدان وفي كل مكان وزمان. نهاضة بثقال الأعباء، وثابة بهمها إلى السماء. مقدامة صوالة. فعالة أكثر منها قوالة. تشق العباب. وتروض الصعاب. ولا تعبأ بجسام الخطوب. في سبيل المطلوب. أصحاب هذه النفوس. وذوي هذه الرؤوس. هم فريق من الناس لا كل الناس. يمتازوا بشدة الإدراك والإحساس. وهذا الفريق ينقسم إلى أفراد. ويجمع بين الأضداد فمنه العالم والشاعر. والصانع والتاجر. والكاتب والقائد. فالعالم الكبير النفس يطمع أن يصل بعلمه في المعقول والمنقول. إلى ما لا تدركه العقول والشاعر يطمع أن يصل بشعره وابتكاراته في المعاني والبيان. إلى ما فوق قدرة الإنسان. والصانع يطمع أن يصل بصناعته من الأحكام والاتقان إلى ما يعجز عن وصفه اللسان. والتاجر يطمع أن يصل بتجارته إلى ما يُعجز التجار. ويبهر الأنظار. في الأصقاع والأمصار. والكاتب

يطمع أن بتحريره وتبيانه إلى ما يخلب الألباب. ويقصر دونه فحول الكتاب والقائد يطمع أن يصل بمقدرته وشجاعته في ميدان القتال. ومجال النضال والنزال. من تدريب جيشه اللهام في القحام والإقدام إلى ما لا يصل إليه عظام القواد. من الجلاد والطراد. هؤلاء هم أصحاب تلك النفوس وأصحاب تلك الرؤوس، ومن كانت هذه نفسه وهذا إدراكه وحسه وهذا تفانيه. في سبيل أمانيه. فجسمه دون أمنيته من تعب، وقواه دون إدراك مسألته في نصب ويا حبذا هذا التعب ويا حبذا هذا النصب وأملي أن أكون من هذا الفريق وبالله التوفيق.

مفاخرة بين الحديد والذهب

الحديد ولا عجب: أفضل من الذهب. الذهب أكبر من اللقب. وأغنى في الحسب والنسب ولكنه أقرب إلى التلف والعطب. الذهب اسمه شهي. ومنظره بهي. ومخبره رضي. ومقامه عليّ. منه النقود والحلي منه سوار للغانية. وقرط للجارية. ومعضد للحسناء. ودملوج للهيفاء وخاتم وخلخال. لذوات الجمال. وربات الحجال. وطوق وشنف. لذوات العتيد والهيف. الذهب سلوة الملوك. وحسرة الصعلوك. ليس له شريك في الخلق والسلوك. والذي اسمه النضار. يجلب الأنظار ويخطف الألباب والأبصار. بلونه الوهاج. ورونقه المواج. والذي اسمه العسجد. يسحر الأقرب والأبعد. بذكره الأمجد. وفعله الأوحد. ومنه الآنية الغالية. ومعالم الرتب العالية. ومهما يكن رأيه سديد. فهو في النفع دون الحديد. الحديد فضله أعم. ونفعه أتم. لا يقدر بمقدار. ولا يشق له غبار. لولا الحديد ما كان ناس ولا أساس. ولا ناقوس ولا أجراس لولا الحديد ما كان محراث ولا منجل. ولا مصنع ولا معمل. ولا مدية ولا ساطور ولا ساقية ولا ناعور. لولا الحديد ما قدر المعمار. ولا كمل الدار. ولا شذبت أشجار. ولا قدرت أحجار. ولا شقت أنهار. ولا ظهرت آثار. ولا كانت إبرة ولا مسمار لولا الحديد لكسدت الأسواق وقلت الأرزاق. لولا الحديد ما كانت الطائرة ولا كانت القاطرة ولا كانت بارجة ولا باخرة. ولا غواصة ولا مدمرة. ولا مدفع ولا مقلع لا يقال لهذا الكثير قليل ولا بعد هذا التفصيل تفصيل إلا الشكر الجزيل والذكر الجميل.

شهر رمضان

شهر رمضان ينقي النفوس من الأدران ودافعها إلى الإحسان. ومقرباً الإنسان من أخيه الإنسان. صيامه فرض لازم فمن قصر عنه فهو آثم ومن توفق إلى القيام به فقد ثبت على الإيمان. وأحرز رضى الرحمن. شهر رمضان كله عظات وحكم. ومنافع غوالي القيم. يمسك الإنسان فيه عن الطعام والشراب. وعن الشهيات العذاب. طمعاً في الأجر والثواب. وخوفاً من الحساب والعقاب. ليس معنى الصيام. الذي جاءت به شريعة الإسلام هو الإمساك عن الشراب والطعام. بل هو الإمساك عن كل ما يخالف الشرع. ويمجه الطبع. فإذا عرف الصائم معنى الإمساك. وحكم فيه العقل والإدراك. ملك زمام نفسه. ووقف أمام حسه. فلا ينم ولا يشي ولا يستغيب. ولا يمعن في الظن والشك ولا يريب. شهر رمضان يجعل الإنسان يحس بألم الإنسان. تتجلى فيه مظاهر الأخلاق ويتنافس المخلوق في إحراز رضى الخلاق. يلدغ الجوع حشى الصائم فيذكي.

رفعة مصر في أن يشجع الأبناء صناعة وطنهم ١٩٣٤

رفعة مصر في صناعتها. وعظمة مصر في مناعتها. ومن أولى من أبنائها وحامي لوائها. بتشييد تلك الرفعة. وتوطيد تلك المنعة. لا تصدق رفعة مصر إلا يوم تستغني بصناعتها وبضاعتها عما تحتاج إليه اليوم من كل قوم وتغزل غرس يدها وثمرة جهدها في مغزلها. وتنسجه في معملها. وتصدره مختارة بعد سد حاجاتها منه إلى كل مكان. بدلاً من أن تبيعه مضطرة بأرخص الأثمان. ولا يتحقق لمصر هذا اليوم إلا بتآزر أبنائها. وتعاضد رجالها ونسائها. هنالك تصبح مرهوبة في هيبتها. محسودة في عزتها وعظمتها هنالك تشرق الشموس. وتبتهج النفوس. هنالك يزدحم ببضائعها المحيط الهادي والهندي والأقيانوس. وتصبح مصر حينئذ قادرة تصول وتجول وتقول حيث تقول هذه صناعتي كالشمس تشرق في الآفاق. والرياح لها في الأسواق. وليس هذا اليوم ببعيد والله فعال لما يريد.

العصامي

شرف العصاميين صنع نفوسهم　　من ذا يقيس بهم بني الأشراف

العصامي من جلى في الميدان. فأجلى الفرسان. وبز الأقران من غير مساعدة أي إنسان. العصامي من ذلّل الصعاب. وخلب الألباب وجاز وجاب. وما وقف عند الأعتاب. ولا يغتر لكثرة ألوان الأصحاب والأحباب حتى تفتح دون ما يروم على مصراعيه كل باب. وينال الإعجاب. العصامي من يجد ويجتهد. لم يكن بالتابع المقلد. ولا بالمستمد المعونة من أحد. العصامي من يبني صرح مجده وحده. لا يشاركه في بنائه أبوه وجده. يبني صرح مجده ويشيد. ويصنع أساسه كما يريد ويزيد. إذا جاء يوم لافخر. وطاب ترديد الذكر. فالرجل كل الرجل هو صاحب تلك النفس. التي لا يحجبها الرمس. التي تدفع صاحبها إلى السير في طريق الخير. وتمنعه عن السير في طريق الشر. وإذا جاء يوم الفضل والنبل. كان هو الكل في الكل.

تثب بين جنبيه فتعود شعلة نار تتأجج حمية وغيره. ثم عزيمة وثباتاً ومثابرة. وهكذا تلك النفس، تعطيك أحسن درس. في الجهاد والنضال. دون الاستقلال. والذب عن الأوطان. والعز أينما كنت وكان تسير بك من آيات إلى آيات. ومن حسنات إلى حسنات. فلا تترك كبيرة ولا صغيرة. إلا كانت لها فيها أفضل سيرة. تلك هي التي قال فيها العربي غير مجامل. فكان أصدق قائل:

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكر والأقداما

ما أجل نفس العصامي من نفس. نفس تعلو بصاحبها حيث تعلو السماء. وتهبط حيث منازل الجوزاء. وتبث الأضواء. حيث تشرق الشمس فتملأ بنورها الأرجاء. وما أعظم حاملها من رجل. إذا قال فعل وإذا جد لا يعرف الكلل والملل. حتى يحقق الأمل. لا يعتد إلا بنفسه ولا يعتمد إلا على إدراكه وحسه. نفس العصامي تعظم فتهون دونها العظماء. وتكبر فيصغر عندها الكبراء. تعلم صاحبها الحكمة فيصبح معجزة الحكماء. وتستوحي له العلم فيصبح آية العلماء. إذا أردت أن ترى العصامي وهو لعينيك ماثل. فاقرأ فيه أبلغ الوصف. الذي لم يأت بمثله الأواخر والأوائل. فاقرأ قول شاعر العرب الشعر. ذاك أبي ولا فخر

فسل إذا فاتك نيل المنى نفس العصامي تحدثك عنه

إذا جاز الاعتماد على نفس في الملمات. والالتجاء إليها في المعضلات فتلك النفس هي النفس التي ضمنت لحياة صاحبها الخلود. وكفلت البقاء لصروحه ما بقي الوجود. فمن كانت هذه صفاته. وهذه حياته فهو حي لا يموت. وأعماله باقية لا تفنى. وعامرة لا تبلى. مهما مرت به صروف الليالي والأيام. وكرت عليه الأحداث الجسام. إذا كنت في شك في هذا المقام. فاصغ لقول أبي تمام:

إذا المرء لم تهدم علاه حياته فليس له الموت الجميل بهادم

هذا هو الشرف. الذي ليس لغير العصامي منه طرف. وشتان بين الشرف المكتسب. وبين الصلة والنسب. الشرف المكتسب هو الشرف الصحيح. والشرف الموروث كالكلام المنتحل أكثره غير صحيح. وإلى هذا المعنى يشير المشير وشاهدة الأول والأخير:

شرف العصاميين صنع نفوسهم من ذا يقيس بهم بني الأشراف

الطربوش والبرنيطة

الطربوش أو السريوش لم يكن مصطلحاً عربياً بل كان مصطلحاً تركياً معناه عند الترك والفرس. غطاء للرأس ولا أدري وقد تعب فكري هل اخترعه الترك أو المغاربة. وهو لباس ثانيهما قاطبة. التركي منه أخف وزناً وألطف لوناً. فهو خير لباس للرأس. تهش أليه النفس يدفع إلى لبسه الشوق. ولا يمجه الذوق. مرجو في الخير. مَرهوب في الشر مورده مر وعذب. في السلم والحرب. في السلم كالصبح إذا أستن وفي الحرب كالليل إذا جن. والمغربي جلال ووقار.

الخاتمة

قارئي العزيز:

هذا آخر ما وقعت عليه أَيدينا من شعر ونثر تم تدوينه عن الأديبة الفاضلة الشاعرة الدكتورة رباب عبد المحسن الكاظمي، وهو يمثل المجموعة الكاملة لأعمالها الأدبية.

وما توفيقي إلا بالله.

لندن في الأول من نيسان عام ٢٠٠٠

لندن المصادف ٢٦ ذو الحجة ١٤٢١ هـ

د. عبد الرزاق طه حمودي

الخاتمة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ٢٠٠٢ م

[illegible] ٢٧ ذي الحجة ١٤٣١ هـ

[illegible]

المصادر

1 ـ ديوان الكاظمي الأول دمشق 1940 والثاني القاهرة 1947.

2 ـ الكاظمي/ مهدي البير/ بغداد 1961.

3 ـ أدب المرأة العراقية/ بدوي طبانة/ القاهرة 1948.

4 ـ رباب الكاظمي/ عبد الرحيم محمد علي.

5 ـ شاعرات العراق المعاصرات/ سلمان طعمة/ نجف 1955.

6 ـ الكاظمي شاعر العرب، ذكرى شاعر العرب، الكاظمي شاعر الكفاح العربي الخالد/ عبد الرحيم محمد علي النجف، 1955، 1958، 1960.

7 ـ معلقات الكاظمي القاهرة 1924.

8 ـ مجموعة شعرية لرباب من مكتبتها الخاصة.

9 ـ مجموعة نثر وكتابات من مكتبة رباب الخاصة.

10 ـ مجموعة مسودات بقلمها من مكتبتها الخاصة.

11 ـ مجلة: الأديب جزء 1 سنة 24 يناير 1965/ المسامرات عدد 194796/ أبولو عدد 2 و 4 مجلد 2 عام 1933/ الاعتدال

عدد 4 سنة 3/ الشرق عدد 41/ الهلال مايس 1950.

12 - جريدة: البلاد عدد 572 و 578 حزيران 1935/ كوكب الشرق العدد 1908، 1946، 2027، 2189، 2364، 2385/ البلاغ المصرية عدد 2049/ المساء عدد 55/ الأهرام عدد 16003 وعدد 2 مايس 1930.

فهرست الكتاب

DAR AL-HIKMA
Publishing and Distribution
London